

١٢١

ابو الحسن علي بن الحسين النديم

موقف العالم الاسلامي

تجاه

الحضارة الغربية

ملتزم الطبع و النشر

المجمع الاسلامي العلمي ، ندوة العلماء

لكهنو (الهند)

ابو الحسن علي كسبي الندوي

موقف العالم الاسلامي
تجاه
الحضارة الغربية

ملتزم الطبع و النشر
المجمع الاسلامي العلمي ، ندوة العلماء
لكهنؤ (الهند)

م ١٩٦٣

١٣٨٢ هـ



مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ الهند

موقف العالم الإسلامي

تجاه

الحضارة الغربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المؤلف

و بعد فهذه رسالة قد بحثت فيها عن موقف العالم الاسلامى تجاه الحضارة الغربية ، و هو موضوع علمى حاسم لا يحتمل أدنى تأجيل ، و من أهم القضايا التى يواجهها العالم الاسلامى والأقطار التى نالت حريتها و استقلالها ، و تستطيع أن تقرر مصيرها ، و تحدد اتجاهها و موقفها من الحضارة الغربية ، فى حرية وانطلاق ، و على الموقف الذى تختاره هذه الأقطار و المجتمعات الاسلامية تجاه هذه الحضارة يتوقف موقفها من المنهج الاسلامى فى الحياة و الاجتماع و الأخلاق ، و مدى ارتباطها بالدين — بمعنى الكلمة الواسع — و خضوعها للروح الدينية و الفكرة الاسلامية و وفائها لرسالتها و مركزها ، و بالاختصار اتصافها بالأمة الوسط التى أخرجت للناس .

و قد كثر فى هذا الموضوع الافراط و التفريط ، و الإغراق فى التفاؤل و التشاؤم ، و طغت النزعات و الميول ،

و تأثير التربية و الثقافة و البيئات ، غير مؤسس على البحث العلمى
المجرد ، والنظرة الاسلاميه الخالصه ، و روح الكتاب و السنه
ونصوصها ، و سيرة الساف الصالح ، فأحدث ذلك صراعا فكريا
هائلا فى العالم الاسلامى ، كانت عاقبته وخيمه للجيل الجديد ، وكان
العالم الاسلامى فى غنى عنه ، لو حكم الدين و تحرر من السيطرة
الفكرية و الثقافيه الأجنبيه ، و التقليد الأعمى ، و من رجعيه
التقدميين ، و حاولت جهدى أن أكون واقعياً أكثر من
أن أكون علياً ، أسترسل فى الخيال والمعانى الشعرية ، و أن
يتسم هذا البحث بالاتزان و الاقتصاد و السداد ، و حب الواقع
و إن لم يرض كثيراً من العاطفيين و المتطرفين .

و قد استعرضت فى هذا البحث حركات التجديد و التطوير
فى العالم الاسلامى فى هذا القرن ، و حركات الدعوة إلى تقليد
الحضارة الغربية ، و حركات الانتقاد و الثورة عليها ، و ذكرت
مالها و ما عليها ، من غير تحيز إلى فئة أو تقديس لفكرة ،
و ترجمت لزعمائها و قادتها ، و قد ثارت حول كثير منهم شائعات
و مبالغات ، و اجتهدت أن أبرزهم فى ملاحظهم التاريخيه الصحيحه
و أصولهم تصويراً لا مثله فيه و لا تجميل ، حتى يستطيع القارئ
الكريم أن يحكم عليهم فى ضوء التاريخ ، و يكون رأيه عنهم ،
معتمداً فى ذلك على كتاباتهم ، و مرآة أفكارهم ، و سجل وقائعهم
و الوثائق التاريخيه .

وقد بدأت بهذا الموضوع ك مقال أكتبه لمجلة « البعث الاسلامى » ،
ولكنه توسع و انشعب الحديث حتى تكون كتاب صغير أعتقد
أنه يجئى فى أوانه ، ويسد عوزاً فى مكتبتنا الاسلامية الفكرية
المعاصرة و يعين على التفكير و التخطيط فى المعركة الفكرية
الحامية ، التى يخوض فيها العالم الاسلامى اليوم ، و على الله قصد
السييل و منها جائر ؟

أبو الحسن على الحسنى الندوى
٢١ شعبان ١٣٨٢ هـ

المجمع الاسلامى العلمى
ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العالم الاسلامى أمام
مشكلة الحضارة الغربية : واجه العالم الاسلامى فى منتصف القرن
التاسع عشر المسيحى مشكلة فى غاية الدقة و التعقد و الخطورة ،
و على الموقف الذى يتخذه تجاه هذه المشكلة الحاسمة يتوقف
مستقبله كعالم له شخصيته و كيانه .

هى مشكلة الحضارة الغربية الفتية ، الدافقة بالحياة و النشاط
و الطموح و قوة الانتشار و الاستيلاء ، و هى من أقوى
الحضارات البشرية التى عرفها التاريخ ، و التى لم تكن إلا مظهراً
من مظاهر الدوامل التى تكونت و اختمرت قديماً ، و ظهرت
فى أوانها .

واجه العالم الاسلامى هذه المشكلة و جهها لوجه ، لأنه هو
زعيم الرسالة الدينية و الخلقية ، و صاحب الوصاية على المجتمع
البشرى ، بعد ما انسحبت الديانات القديمة من معترك الحياة ،
و صاحب القوة الكبرى التى يحسب لها الحساب ، و صاحب الدول

الواسعة في هذا القرن ، فكان تحدى هذه الحضارة المادية الآلية للعالم الاسلامى أعظم من تحديها لآى أمة ، و لآى حضارة ، و لآى مجتمع بطبيعة الحال .

المزيج الغريب : و كانت هذه الحضارة — بمعناها الواسع — مجموع عقائد و مناهج فكرية ، و فاسفات و نظم سياسية و اقتصادية ، و علوم طبيعية و عمرانية ، و اجتماعية ، و تجارب خاصة مرت بها الشعوب الأوربية التى تزعمت هذه الحضارة فى رحلتها الطويلة ، و كانت مظهر تقدم العلم البشرى و علوم الطبيعة ، و علم الآلات و العلوم الرياضية ، و مجموع نتائج جهود علماء و باحثين عبر القرون .

فكانت مزيجاً غريباً من أجزاء لا يكون الحكم عليها واحداً متشابهاً ، كانت مزيجاً من السليم و السقيم ، و من الصواب و الخطاء فى النتائج و الاحكام .

و من البديهيات فى العلم التى لا تقبل الجدل و الشك ، و من التخمينات و التحكمات فى الآراء و الدعاوى التى تقبل المناقشة الطويلة و الجدل الكثير ، و مما هو خيرة من الاختبارات و البحوث الطويلة و مما هو فجع لا يزال فى دور التجربة و الاختبار ، و النشوء و الارتقاء ، و مما لا يختص باقليم أو عنصر من علوم تطبيقية ، و بالعكس مما تجلت فيه الطبيعة الأوربية ، و أثرت فيه البيئة الغربية ، و ولدت حوادث تاريخية خاصة اكتوت بناها هذه الأمم ، و

مما له صلة قوية عميقة بالدين و العقائد ، و مما لا صلة له بالدين مطلقاً ، و ذلك الذى زاد فى تعقد هذه المشكلة و خطورتها ، و أخرج مركز العالم الاسلامى ، و كان فيه بلاء و محنة لذكاء قاداته و زعمائه ، و أصحاب التوجيه فيه .

الموقف الأول السلبي : و كانت هنالك ثلاثة مواقف يستطيع العالم الاسلامى أن يقفها أمام هذه المشكلة الطريفة ، لا أرى لهذه الثلاثة رابعاً .

كان الموقف الأول موقف السلب ، و هو أن يرفض العالم الاسلامى هذه الحضارة و ماجاءت به بتاتا ، و يقف منها موقف المعارض الثائر ، أو موقف المعتزل الحائد ، لا يقبس منها شيئاً و لا يسمح بدخول علم من العلوم التى كان للأوروبيين فيها التفوق و الاختصاص ، و لا يتتبع بتجارب الغرب فى مجالات الطبيعة و الكيمياء و الرياضاة و علم ميكانيكا ، و لا يستورد شيئاً من الآلات ، و الصنائع و الأجهزة ، و أدوات الحرب و البضائع و مرافق الحياة .

حكم هذا الموقف

طبعياً و شرعياً و نتائجاً : و هذا لا بد ينتج التخلف الشديد عن ركب الحياة ، و يقطع صلة هذا الجزء عن باقى العالم ، و يكون جزيرة منقطعة لا مناعة لها و لا قيمة ، و البر لا مكان فيه للجزر المنقطعة الصغيرة ، و لا حرب مع الطبيعة البشرية ، و منطق

الحوادث و الحقائق ، و هو - بصرف النظر عن كل هذا - ضيق في العقل ، و تعطيل للقوى الفطرية ، و جنائية على الاسلام ، و سوء تفسير للدين الذى يحث على استعمال العقل و التفكير فى الكون (١) و اقتباس الصالح النافع أينما كان مصدره (٢) . و يأمر باعداد القوة الممكنة للدفاع عن الدين و إرهاب العدو (٣) و ينظر إلى الانسان كخليفة الله فى هذه الأرض (٤) سخر له البحار و الأنهار ، و سخر له الشمس و القمر و سخر له الليل و النهار ، و آتاه من كل ما سأله بلسان المقال أو بلسان الحال (٥) و امتن على عباده بانزال الحديد الذى فيه بأس شديد و منافع للناس (٦) و ضرب رسوله المثل لأمته باقتباس بعض أساليب الحرب

١ - إن فى خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار آيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات و الأرض ربنا ما خلقت هذا بطلا سبحانك فقنا عذاب النار ، (آل عمران) ١٩٠ - ١٩١ .

٢ - الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها

٣ - و أهدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله عدوكم الآية (الانفال) ٦٠

٤ - إني جاعل فى الأرض خليفة (البقرة ٢٠)

٥ - الله الذى خلق السموات و الأرض ، و أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم و سخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره و سخر لكم الأنهار و سخر لكم الشمس و القمر دائبين و سخر لكم الليل و النهار ، و آتاكم من كل ما سألتهموه ، و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظنوم كفار (ابراهيم ٣٢ - ٣٣ - ٣٤)

٦ - و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس (الحديد ٢٥)

و الدفاع من غير المسلمين و غير العرب ، فحفر الخندق في
الأحزاب كما كان يحفره الفرس ، و على هذه السيرة سار أصحابه
و فقهاء أمتهم من بعده ، فكانوا يسأرون الزمن و يجارون
الأمم في الأساليب الحربية و اتخاذ آلات الحرب و وسائل القوة ،
و تعلم العلوم النافعة ، و يسبقونها أحياناً .

و لو حاول قطر من الأقطار أن يطبق عينه و سمعه عن
تحدى هذه الحضارة الصارخ أو أن يرفضها رفضاً باتاً ، و صمم
على أن يعيش في عزلة عن العالم المعاصر . منطويًا على نفسه لما
استطاع ذلك ، ولو واجه ثورات لا آخر لها ، و عصياناً و تمرداً في الداخل ،
لأنه يعارض الفطرة الانسانية الوثابة الطموح ، الولوع بالجديد
الطالبة للزيد ، الطامحة دائماً إلى المجد و القوة و التجديد ، و
يعارض كذلك السنن الكونية و طبائع الأشياء ، و لو فعل ذلك
قطر من الأقطار لتسربت هذه الحضارة إلى أسر هذا القطر و
بيوته ، كما يتسرب الماء في القرية أو المدينة إذا أحاط بها السيل
من كل جانب ، و طغى عليها الفيضان .

مصير الأقطار التي تعيش

في عزلة عن العالم : لقد كانت الفترة التي عاشت فيها بعض

الأقطار الاسلامية بعيدة عن الحضارة الحديثة بخيرها و شرها ،
زاهدة في مرافقها و أساليبها ، منطوية على نفسها ، لقد كانت
هذه الفترة دائماً قصيرة مضطربة مهددة بالغز و الحضارى ، و

الثقافى من الخارج ، و موجات هذه المدنية العاتية التى تتغلغل إلى الجذور و الأعماق ، و تذهب بالقيم و المفاهيم و مبادئ الأخلاق ، و يشك كل عاقل عرف قوة نفوذ هذه الحضارة وسعته و عرف ضعف هذه الأقطار الروحية و المادى و فقدان ما يقاوم هذه الحضارة من إيمان و قوة شخصية وثقة ، يشك فى بقاء هذه الأقطار فى سانحها و حصارها المدنى والثقافى والاجتماعى ، و يشك فى طول هذه الفترة ، لأنها — مع وجود هذا الضعف فى الشخصية و الفقر فى القوة المعنوية — غير صالحة للطول و الإمتداد ، فضلا عن البقاء و الإستمرار .

زار الأستاذ محمد أسد — الذى عاش فى أوروبا و تجول فى العالم الاسلامى — الجزيرة العربية الوادعة الهادئة فى سنة ١٩٣٢ م و هى لا تزال متمسكة بتقاليدها العربية الاسلامية أشبه بالماضى منها بالحاضر ، لم تجس خلالها الحضارة الغربية ، و لم تفتح سورها — الرملى — الأساليب الغربية و المصنوعات الحديثة ، فشك فى طول حياة هذه العزلة ، و البعد عن تأثير الحضارة الغربية التى طوقت الجزيرة ، فقال :

« و عند ما وصلت بتفكيرى إلى ذلك الحد ، سألت نفسى فجأة ، إلى متى يستطيع زيد (١) و قوم زيد (العرب) أن

١ - البدوى العربى الذى كان مرافق محمد أسد فى مغامراته و رحلاته فى صحراء العرب ، و دليله فى هذه الرحلة .

يحتفظوا بتماسكهم الروحي في وجه الخطر الذي يطبق عليهم بكثير
من الخداع و المكر ، و بصورة لا تعرف الرحمة ، أو اللين ؟
نحن نعيش في زمن لم يعد الشرق فيه يستطيع أن يبقى ساكناً
سائياً في وجه الغرب الآخذ بالاطباق عليه ، إن آفاقاً من
القوى - السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية - تطرق أبواب
العالم الاسلامي فهل يخضع هذا العالم و يستسلم إلى حضارة الغرب
و يفقد خلال التفاعل ، لا أشكاله و أنظمتها التقليدية فحسب بل
جذوره الروحية أيضاً (١) «

نعم لم تطل هذه الفترة فلم تلبث هذه البلاد المقدسة أن
غزتها الحضارة الغربية و تدفق فيها سيل المصنوعات الحديثة ،
و المستوردات الغربية ، و أكثر من أسباب الترف و من
« الكماليات » فشحن الأسواق ، و ملأت البيوت ، و قضت على
التكشف في الحياة و صفات الفتوة و الفروسية التي عرف بها
العرب من قديم الزمان ، و كانت من أسباب قوتهم و انتصارهم ، -
و ظهر اتصال الجزيرة بالغرب عن طريق الحضارة و الثقافة و
السياسة و عن طريق البترول ، و كان هذا الاتصال و هذا
الاقتراب من الغرب في مجال الحضارة و التجارة و الثقافة عن
ارتجال و تهور و من غير تفكير هادئ و تصميم سابق ،
فأصبح هذا الاستسلام للغرب الذي تخوف منه الأستاذ محمد أسد

٢ - الطريق إلى مكة ص ١٤٠

أمراً واقعاً ، و أصبحت الجذور الروحية - فضلا عن الأشكال
و الأنظمة التقليدية - مهددة .

التقاليد و العادات لا تستطيع

أن تقاوم الحضارة الجديدة : و لن تطول هذه الفترة - السلبية -

في أى قطر من اقطار الشرق لأن التقاليد و العادات و الجهاز
الاجتماعى أو الادارى الذى ليس وراءه عقيدة راسخة قائمة على
فقه و بصيرة ، و ليس معه ذكاء و ألمعية ، و المقدرة الكافية
على تطبيق الحقائق و المبادئ الدينية الخالدة بالحياة المتطورة و
حاجاتها الجديدة ، و التمييز بين ما يصلح للاقتباس من الحضارة
الجديدة و منتجاتها و ما لا يصلح ، لا يستطيع أن يقف طويلا
في وجه هذه الحضارة العارمة ، و كل قطر أو قيادة تمنى نفسها
بالاحتفاظ بالقديم ، و الانحصر في دائرتها من غير هذه المقومات
التي ذكرناها و من غير إيمان جديد قوى ، و عقل واع منتج
مهددة بالانهيار عاجلا أو آجلا .

و إذا لم يكن الاقتباس من الحضارة الغربية و مرافقها
و منتجاتها عن إرادة و تصميم ، و باختيار و تمييز ، و عن
فقه و بصيرة ، هجمت هذه الحضارة على هذا القطر أو المجتمع
غصباً ، و على الرغم من قاداته و ولاة الأمر فيه ، و على الرغم
من العلماء و زعماء الدين ، و رحب بها أهل البلاد ، و فتحو
لها الأبواب ، و التهموها - بصالحها و فاسدها - في نهامة

و جشع ، و اكتسحت القيم الدنيية و الخلقية و غلب قادة البلاد
أو ولائها على أمرهم ، و أفلت منهم الزمام إلى آخر الأبد .
لابد من التخطيط

وإصلاح الأوضاع : لقد أصبحت الأقطار الشرقية — من
غير استثناء تقريباً — فريسة الحضارة الغربية في الزمن الأخير ،
و انجرفت في سيلها العارم من غير امتناع ، أو مقاومة لفقدان
العقل الراجح المتزن في القيادة و فقدان « عملية التمييز و
الاختيار المحكمة » في الوجهين . و عدم وجود التصميم أو التخطيط
المحكيم في نظام المعارف و تنظيم البلاد تنظيماً جديداً قائماً
على التجارب الحديثة ، و بسبب وجود نظم و أوضاع كانت
نتيجة الانحراف عن التعاليم الإسلامية الصحيحة ، لا يقرها العقل
و العدل ، و لا تصلح للبقاء في أي عصر من العصور فضلاً عن
هذا العصر القلق الثائر .

و هذه قصة أفغانستان التي عرفت في الشرق بشدة محافظتها
و تمسكها بالقديم و التقاليد الأفغانية القديمة ، فقد استطاعت
أن تعيش بعيدة عن تأثير الحضارة الغربية محتفظة بتراثها القديم
من ثقافة و اجتماع ، تزهد في الجديد الصالح حتى رفعت الحجاب
بينها و بين الحضارة أخيراً و بدأت تهجم على الحضارة الغربية
و عاداتها و تأخذها بنهامة و شغف .

و تكاد تكون هذه قصة اليمن ، و جميع الأقطار الإسلامية

التي أقامت حولها سوراً عالياً يمنع من دخول كل جديد ، من العلوم المفيدة ، و التنظيمات الصالحة ، و الوسائل البريئة وطرق ترفيه الشعب ، و تقوية البلاد عسكرياً و صناعياً و تمويماً .
و لقد كان الوعي الاسلامي كافياً و كافلاً لإصلاح هذه الأوضاع و لكنه كان ضعيفاً أو مغلوباً على أمره ، حتى جاءت هذه الحضارة المادية الثائرة تنادى في شئ كثير من الغلو و الاسراف بالحرية و المساواة ، و تدعو إلى قلب الأوضاع القديمة مهما كانت ، فتفشى القلق و التذمر في هذا المجتمع ، و قوى الشعور و تضخم بفساد هذه الأوضاع و عدم صلاحيتها للبقاء ، و جاشت النفوس بالكراهة و الثورة على الأوضاع القائمة مهما كانت عاقبتها ، و هذا سر ظهور الثورات العسكرية في الأقطار الاسلامية ثورة بعد ثورة ، و حكم عسكري على اثر حكم عسكري آخر .

سبب حدوث الثورات في

العالم الاسلامي و علاجه : و لعل العالم الاسلامي كان أكثر استعداداً و تهيؤاً لهذه الثورات لوجود الوعي الديني ، الذي يبعث على القلق و الإنكار في هذه البلاد أكثر من عالم آخر أو مجتمع آخر ، أو لفساد الأوضاع فيه أكثر من أي ناحية ، و مادام التخلف في الحياة و القوة و مادام الفقر المدقع في بعض الطبقات الذي لا يجسد معه صاحبه ما يقيم الصاب ، و يكسو

العورة ، و يمسك الرمق ، و مادام الثراء الفاحش ، و الاكتناز
المجرم و العبث بالأموال إلى حد السفاهة و الجنون ، و مادام
الترف و الفجور و الاستهتار في طبقات الامراء و الاغنياء
تروى قصصه المضحكة المبكية في كل ناد و في كل صحيفة ، و مادام
الجهل ضاربا أطنابه على الشعب ، و مادام العلماء و زعماء الدين
يتقاصرون عن أداء واجبهم الديني ، و إزجااء كلية الحق أمام
الأقوياء و الأغنياء و يتنافسون في المناصب و الوظائف و
يتصارعون على التافة من الخلافات و الخسيس من المادة ، و
حكاياتهم تروى و تتناقل ، و مادامت التربية الدينية و الأمثلة
العملية — في الورع و الزهادة و سمو النفس و الشجاعة الدينية —
مفقودة أو نادرة في حكم المعدوم ، و مادامت الدعايات و
الدعوات تسرب إلى المجتمع و تجد مرتعا خصبا في النفوس ،
و أدلة و مؤيدات في الأوضاع ، مادام هذا الوضع الغير الطبيعي
و الغير الاسلامي سائداً في هذه الأقطار الاسلامية فإنها مهددة
— لا محالة — بالفوضى الخلقية و السياسية ، معرضة للشورات
العسكرية أو الشعبية ، واقفة على فوهة بركان متهيئ للانفجار
في أي وقت كان .

و لا يمنع من ذلك سلطة قوية ، أو عقاب صارم ، أو
محاسبة دقيقة ، أو مراقبة تحاسب على الناس الأنفاس و تتبع
الخواطر و الهواجس ، و لا دعايات صحفية أو إذاعية ، و لا بذل

أموال طائلة على أصحاب الأغراض و المطامع ، و لا مآدب
سخية في السفارات ، و لا مشروعات ترضى أصحاب العاطفة
الدينية ، إنما سبيله مواجهة الحقائق بشجاعة و علم ، و إصلاح
الأوضاع باخلاص و صدق ، و إزالة ما يجب إزالته من
الفساد ، و تحقيق ما يجب تحقيقه من المطالب ، و تحقيق العدالة
الاجتماعية كما أمر بها الاسلام و ثبت في صريح القرآن و صحيح
السنة ، و السعى الحثيث لرخاء الشعب ، و أن يجد كل فرد
من أفراد الشعب - بقدر الامكان - قوته ، و منع البذخ
الذي يحول بين الشعب و قوته ، و حاجياته ، و أن يسبك
نظام المعارف سبكا جديداً يتفق مع عقيدة هذه البلاد و رسالتها
و مع تطور العصر الحديث و علومه الجديدة ، و يخلق في الجيل
الجديد الايمان و الخلق و الاستقامة و الثقة بالنفس ، و
الاعتزاز بالدين و الحماسة في سبيله ، و يخلق فيه روح الابتكار
و الاستقلال الفكري ، و العصامية و مواجهة الغرب بشجاعة
و ذكاء ، و إعادة الروح الدينية و الايمان القوى ، و الشعور
الخلقى ، و الوعي الاسلامى ، في الشعب ، و إزالة القلق و التذمر
بازالة أسبابهما و دواعيهما ، و باصلاح الأوضاع و السير و
الاقتباس من الغرب ما يصلح لشعب إسلامى ، و يتفق مع
عقيدته السمحة ، و ما له قيمة عملية إيجابية ، و ما يقوى الشعب
و ينفعه في كفاح الحياة و المجد و الدعوة إلى الله .

هذا هو السبيل الوحيد لإقرار الأمن و السلام ، في هذه المناطق الشرقية الاسلامية ، و بقاء هذه الشعوب على إسلاميتها و عقيدتها و سيرتها الدينية ، و بعبارة علمية مركزة : إن العالم الإسلامي و أقطاره في حاجة إلى بناء مجتمع إسلامي تقدمي عادل تستطيع فيه الطريقة الاسلامية في الحياة أن تعبر عن نفسها تعبيراً عملياً و ثقافياً (١) ،

الموقف الثاني موقف

الاستسلام و التقليد : و الموقف الثاني ، موقف الاستسلام و الخضوع الكامل ، موقف المقلد المؤمن المتحمس ، و التلميذ البار الصغير الذي لم يبلغ بعد سن التمييز ، و هو أن يقبل العالم الإسلامي — أو جزء منه — هذه الحضارة — المادية الآلية ذات الطبيعة الخاصة — بحذافيرها ، يقبلها بعقائدها الأساسية ، و مناهجها الفكرية ، و فلسفاتها المادية ، و نظمها الاقتصادية و السياسية ، التي نشأت و اختمرت في بيئة بعيدة عن بيئة هذه الأقطار تحت ضغط عوامل و حوادث خاصة ، و بتوجيهها ، و يحاول تطبيقها في هذا البلد الإسلامي برمتها ، و يتحمل في سبيل ذلك كل صعوبة و عنق ، و يدفع له أعظم ثمن ، و أبهظ قيمة .

١ - استغفنا في هذا التعبير من بعض ما جاء في كتاب « الطريق إلى مكة » ، للإستاذ محمد أسد ص ٢٢٠ .

حركة « التغريب »

في تركيا و أسبابها : و قد سبقت — إلى هذا الأسلوب من التفكير و المنهج من العمل — تركيا الإسلامية ، و كانت ذلك نتيجة طبيعية لعوامل كثيرة ، و رحلة طويلة ، فقد حاربت أوروبا مدة طويلة من غير أن تستعد لهذه الحرب ، و تتسلح بسلاح عدوها العلى و الصناعى ، و فرطت فى اقتباس العلوم المفيدة من أوروبا و الصناعات و الفنون الحربية و التنظيم الإدارى تفريطاً مجرماً ، و أبدى العلماء و زعماء الدين ضعفاً و قصوراً فى توجيه الأمة و البلاد توجيهاً علمياً و فكرياً ، و فى الإشراف على اتجاهاتها التى يفرضها الزمان و المكان ، و تغير الأحوال فى العالم كله ، و تقرير الصالح منها ، و تزييف الطالح ، و وقفوا على ما وقف عليه العلم و المعرفة و التفكير ، فى القرن الثامن عشر ، و فوق كل ذلك فقد استغل السلاطين — إلا من عصم ربك — اسم الدين و اسم الخلافة لصيانة مصالحهم الخاصة ، و تحقيق رغباتهم ، و كانوا من أسباب تأخر البلاد ، و الهزائم و الانتكاسات التى تحققت بالأمة ، و بمالأة الأعداء فى أحيان .

أما الجيل الجديد ، الذى كان يتلقى ثقافته فى عواصم أوروبا أو فى بعض الكليات العصرية ، فى تركيا ، فقد نشأ على الاستهانة بقيمة الدين و اليأس من مستقبله ، و كراهة رجاله و احتقارهم و على تقديس الحضارة الغربية و تمجيدها ، و الخضوع الزائد

للقيم المادية و المفاهيم الغربية ، و فقد في هذا الجيل العقل النابغ المتعمق الذى يقدر على نقد فلسفة الحياة الغربية و معرفة جوانب الضعف فيها ، و جوانب الافراط و التطرف و معرفة ما يصلح لتركيا الزعيمة للعالم الاسلامى اقتباسه و الافادة منه ، و ما لا يصلح و لا يتفق مع طبيعتها و تاريخها و مكائنها في العالم و مركزها في الشرق الاسلامى ، و أكثرهم من نوع « العسكريين » و المعلمين الذين لم تكن ثقافتهم واسعة و لا عميقة و لاجرة (١) أو الذين انتهت بهم تجارب حياتهم الخاصة ، و ما لقوا من العلماء و « المحافظين » من تشييط أو عدم تشجيع ، و ما جربوه فيهم من جمود و ضيق تفكير ، و ما رأوه في الجيل المسلم القديم ، و زعمائه من النفاق ، يقولون ما لا يفعلون ، و ينهون عن شئى و يأتونه ، أو ما شاهدوه في البلاد من تأخر و ضعف

١ - تقول الفاضلة خالدة اديب خانم في كتابها « الصراع في تركيا بين الغرب و الشرق ، كان أعضاء جمعية الاتحاد و الترقى الشبان من صغار الموظفين الرسميين ، أو ضباطاً في الجيش ، و لم يكن فيهم فى أول الأمر فرد واحد ، حائزاً على مكانة علمية سامية ، و يفهم الفرق بين العصر القديم و العصر الحديث فى ضوء التحليل و النقد العلمى ، و لكن هؤلاء الشباب كانوا أقرب إلى الشعب و كانوا إنتاجاً وطنياً خالصاً ، و كان معظمهم من أهل مقدونية الذين اشتهروا بحب الواقعية و القسوة ، و لا يتحاشون عن شئى فى سبيل الوصول إلى غايتهم ، لذلك رغم أنهم كانوا يمدفون إلى غاية نبيلة ، كانوا يستخدمون جميع الوسائل للوصول إلى غرضهم من غير احتشام و تورع .

Conflict Between Est - West In Turkey

انتهى بهم كل ذلك إلى الثورة على كل قديم ، و على كل موجود ،
و على التصميم على « تغريب ، تركيا .

ضياء كوك الب و فلسفته : و وجد مثل (ضياء كوك

الب) (١) في مجال التفكير ، الذى دعا بكل قوة و صراحة
إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب ، و تكوينها تكويناً غربياً
قومياً خالصاً ، و إيثار الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد
للحضارة القديمة التى ساهم الأتراك — على زعمه — فى تكوينها
و حراستها ، يقول فى مقالة له :

« إن الحضارة الغربية امتداد لحضارة حوض البحر
الايض المتوسط القديمة ، و كان مؤسسو هذه الحضارة — التى
نسميها بحضارة البحر الايض المتوسط — من الأتراك ، مثل
السماريين ، و الفينقيين و الرعاة ، لقد كان فى التاريخ ، عصر
طورانى قبل العصور القديمة ، لأن سكان آسيا الوسطى القدامى
كانوا أجدادنا و فى زمن متأخر جداً ، رقى الأتراك المسلمون
هذه الحضارة و نقلوها إلى الأوربيين ، و بتخطيط الامبراطوريتين

١ - ولد فى سنة ١٨٧٦ م و تعلم فى استنبول ، و عين استاذاً لعلم الاجتماع ،
فى جامعة استنبول ، و كتب معظم مقالاته بين ١٩١١ و ١٩١٨ م و بين
١٩٢٢ و ١٩٢٤ السنة التى توفى فيها ، و يعتبر كمال أتاتورك تلميذاً له فى آرائه
و اتجاهاته ، و مطبقاً لما رسمه ضياء من المشروعات و الخططات الفكرية فى
بحوثه و مقالاته

الرومانيتين الغربية و الشرقية أحدث الأتراك انقلاباً في تاريخ أوروبا ، لذلك نحن جزء من الحضارة الغربية و لنا سهم فيها ، و يذكر موجبات اعتناق الحضارة الغربية و ما يحدث ذلك من انقلاب ، و ما يفيض من قوة و روح جديدة ، و مركز في العالم ، و أنه لا يستلزم الإيسلاخ من الدين القديم ، فيقول : « حين تقطع أمة شأواً بعيداً في نشوءها ، ترى من الواجب أن تغير حضارتها أيضاً ، لما كان الأتراك قبائل رحالة في آسيا الوسطى دانوا بحضارة الشرق الأقصى ، و لما اتسوها إلى عصر « السلطنة » دخلوا في مساحة الحضارة البرنطية ، و الآن في طور انتقالهم إلى الحكومة الشعبية ، هم مصممون على قبول حضارة الغرب .

إن شعوباً تدين بديانات مختلفة يمكن أن تدين بحضارة واحدة ، إن اليابانيين و اليهود يشاركون الأوربيين في حضارة واحدة ، رغم اختلافهم في الدين و العقيدة ، و بعبارة أخرى الدين و الحضارة شيئان مختلفان ، لذلك من المغالطة أن تسمى « حضارة اسلامية » ، كما لا يصح أن تسمى « حضارة مسيحية » الدين محدود في العقيدة و الطقوس التي لا صلة للفنون و العلوم بها .

« لما حرر الغربيون أنفسهم من رواسب القرون الوسطى كان المسيحيون الخاضعون للكنيسة ، الارثوذكسية في روسيا

لا يزالون عبيداً لها ، و قد عانى بطرس العظيم صعوبات شديدة في كفاحه لتحرير الشعب الروسى من سيطرة الحضارة البزنطية ، و تقديمهم إلى الحضارة الغربية ، و لكى يعرف الانسان ما هى الوسائل و الأساليب التى يجب أن تستخدم لتغريب البلاد و طبعها بطابع الغرب يكفى أن يدرس تاريخ إصلاحات بطرس ، و كان الناس يعتقدون إلى ذلك الحين أن الروسين لا يصلحون للتقدم ، و لكنهم بعد الثورة بدأوا يتقدمون بسرعة زائدة ، و يقطعون شوطاً بعيداً فى ميدان النهضة ، و هذه الحقيقة التاريخية تكفى لإثبات أن الحضارة الغربية هى الشارع الوحيد إلى التقدم « علينا أن نختار إحدى الطريقتين ، إما أن نقبل الحضارة الغربية أو نظل مستعبدين لقوى الغرب ، لا بد أن نختار أحد الأمرين ، يجب علينا أن نسيطر على الحضارة الغربية لنُدافع عن حريتنا و استقلالنا »

دور تركيا التقليدى : إن قادة هذا الفكر و الدعوة التى يتزعمها ضياء كوك الب ، كانوا يستحقون إعجاباً كبيراً من المؤرخين المنصفين ، و رجال الفكر الأحرار فى العالم الاسلامى ، و إن تركيا كانت تحتل مركزاً خطيراً ، فى خريطة العالم السياسية ، و الثقافية ، و الاجتماعية ، و قد تغير مجرى التاريخ إذا سيطرت على الحضارة الغربية ، و امتلكت ناصيتها تقودها و تسييرها ، إلى غاية مرسومة ، و تتصرف فيها تصرف القائد

الحر ، الذى يملك إرادته ، و العالم المجتهد الذى يفكر بعقله ،
و كانت القدوة الحسنة للشعوب الشرقية الاسلامية التى تعاني
الصراع العنيف بين الشرق و الغرب ، و تواجه تحدى الحضارة
الحديثة السافر ، و تنظر إلى تركيا كزعيم و إمام ، و أول
من اكتوى من الشعوب الاسلامية بنار هذا الصراع بين الغرب
و الشرق و واجه زحف الحضارة الغربية و فلسفة الحياة الحديثة .
و لكن ذلك - مع الأسف - لم يتحقق ، إن الذى
تحقق هو تقليد تركيا للحضارة الغربية و تمسكها ببعض شعاراتها
و مظاهرها ، و الإصلاحات السطحية التى لا تقدم و لا تؤخر
فى حياة الشعوب و الأمم و المجتمعات و المدنيات ، و لاصلة
لها بالقوة الحقيقية و العظمة السياسية ، و التى فصات تركيا عن
ماضيها القريب ، و عن التراث العلى الغنى الذى ساهمت فى
تكوينه الأجيال الكثيرة و العقول الكبيرة ، و فصات تركيا
- زعيمة العالم الاسلامى بالأمس - عن العالم الاسلامى ، و
أحدثت فجوة عميقة بين رجال الحكم و التوجيه ، و بين الشعب
المسلم القوى ، الفاض بالحب و الايمان و العاطفة الدينية ،
الذى ملأ قلوب العالم مهابة و إجلالا لقوة هذه العاطفة و
تدفقها ، و استطاع أن يقف فى وجه أوروبا و غاراتها الساحقة ،
و مؤمراتها الدقيقة المستمرة ، التى لم تنقطع و لم تقف يوماً واحداً
و التى لا قبل لأمة عادية بها ، رغم الضعف الشديد المستمر فى

الطبقة الحاكمة ، و الحياة في الضباط و أفقد الشعب النشاط و الثقة ، و الحماسة التي كانت من أبرز مزايا هذا الشعب المسلم الخالد ، و أحدثت اضطراباً في المجتمع و فتوراً في إجابة الدعوات التي تصدر من القيادة و مركز الحكم ، و احتاجت الحكومات المختلفة إلى كبت هذا الشعور و كبح هذه العاطفة ، و تحويل الأمة إلى المادية و القومية و الحضارة الغربية ، و الانحصر في دائرة التفكير الضيقة و المساحة المحدودة بعنف و قسوة لا نظير لها ، ذهب ضحيتها رجال كان فيهم الغناء الكبير للأمة ، و الخير الكثير للبلاد ، و لا يزال الصراع قائماً بين العقلية الحاكمة و عقلية الشعب المغلوب على أمره ، و لا تزال الشرارة - الايمانية - كامنة في النفوس و القلب مستعدة للإلهاب بأدنى حركة و أضعف إشارة .

إن دور الشعب التركي في اقتباس الحضارة الغربية كان دوراً تقليدياً يخلو من كل « أصالة » و من كل ابتكار ، و من كل عصامية ، و من كل إنتاج ، فلم تعمل شيئاً جدياً للسيطرة على هذه الحضارة التي انطلقت من الغرب المادي ، السيطرة التي دعا إليها ، و حلم بها ، ضياء كوك الب ، في مقالته السابقة ، و لم تعمل شيئاً لامتلاك ناصيتها ، و التغلب على قيادتها ، إنما كان دورها دور الاستيراد و دور الاستعارة و دور التطبيق ، لا أقل و لا أكثر ، و لم ينبغ فيها في هذه الفترة نابغة ، في

العلوم التطبيقية ، و لا عملاق في العلوم و الآداب ، و لا مؤسس مدرسة جديدة من مدارس الفكر و الفلسفة ، و لا من يضيف إلى هذه الحضارة شيئاً أصيلاً له قيمته العلية ، و لذلك بقيت شعباً متوسطاً يعيش على حاشية الشعوب الأوربية، و لم يكن هذا قيمة ما ضحى به هذا الشعب من السطوة السياسية و الحماسة الدينية ، و الدوافع الخلقية و الزعامة في العالم الاسلامى .
شخصية أتاترك

ومآثرته التقليدية : لم يكن كمال أتاتورك (١) - مؤسس تركيا

١ - هو مصطفى كمال باشا بن على رضا بك ، ولد بمدينة سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨٠ م ، وأصل أسرته من قرية بالاناضول ، و التحق بمدرسة ابتدائية تدير على النهج الأوربي الحديث ، ثم بمدرسة أهلية ثانوية فمكث بها سنة ثم تركها و دخل مدرسة حربية ، ثم انتقل إلى المدرسة الحربية باستانبول و تخرج منها ضابطاً ، و كان ذلك في عهد السلطان عبد الحميد الثانى ، و اشترك في بعض المؤامرات ضده ، فقبض عليه و نفي إلى دمشق و هرب منها إلى سلانيك ، و التحق بجمعية الاتحاد و الترقى ، و التحق بالجيش ، و عهد إليه بالاشراف على سكة حديد مقدونية ، و خلع السلطان عبد الحميد ١٣٢٧ - ١٩٠٩ ، و قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٢٣ هـ ١٩١٤ م و انضمت تركيا إلى ألمانيا و النمسا ، و اشترك كمال في هذه الحرب و كان له موقف عظيم في معركة غاليبولى سنة ١٩١٥ م فداعت به شهرته و انتهت الحرب سنة ١٩١٨ م بهزيمة ألمانيا و تركيا ، و احتلت إنجلترا و حلفاؤها استانبول ، و اختل الأمن في بلاد الأناضول فاختير كمال ليقوم بحفظ النظام سنة ١٩١٩ م و أعلن الحرب على اليونان الذين استولوا على أزمير و انتصر عليهم سنة ١٩٢١ م في معركة سقارية و لقب بالغازى ، و أقام فى انقرة حكومة مستقلة ، و ألغى الخلافة و سلطنة آل عثمان ، و أقام حكومة جمهورية علمانية كان أول رئيسها سنة ١٩٢٤ م و استمر حل ذلك حتى توفى سنة ١٩٣٨ م .

الجديدة - عالماً واسع الثقافة ، أو مفكراً عميق النظر ، إنما كان زعيماً قومياً قوى الإرادة ، و حاكماً قوياً شديد التنفيذ يوجز وصفه مؤرخه الإنجائزى الشهير ، فيقول : « فى مواهبه و كفايته كان جندياً ، و فى غريزته كان معلم ثانوية ، و فى اتجاهه كان سياسياً ، (١)

و مآثرته التاريخية أو بطولاته - كقائد و زعيم - مقصورة على « عملية النقل و التحويل » التى قام بها و نجح فيها أكثر من غيره ، يقول المؤرخ السابق ملخصاً دوره « العظيم » الذى مثله فى تاريخ تركيا الأخير .

« انطلق « كمال أتاتورك » يكمل عمل التحطيم الشامل الذى شرع فيه ، و قد قرر أنه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتعفن الفاسد ، يجب عليه أن يزيل جميع الأنقاض التى تحيط بها ، هو حطم فعلاً النسيج السياسى القديم ، و نقل السلطنة إلى (ديمقراطية) و حول الامبراطورية إلى قطر فحسب جعل دولة دينية جمهورية عادية .

إنه طرد السلطان (الخليفة) و قطع جميع الصلات عن الامبراطورية العثمانية ، و قد بدأ الآن فى تغيير عقليّة الشعب بكاملها ، و تصوراته القديمة ، عاداته ، لباسه ، أخلاقه ، و تقاليدّه ، أساليب الحديث ، و مناهج الحياة ، المنزلية التى

(1) H. c. Armstrong Grey Woolf P. 294

تربطه بالماضى ، و بالبيئية الشرقية ، لقد كان ذلك أصعب بكثير من تكوين الجهاز السياسى من جديد ، و كان يشعر بصعوبة هذه العملية فقد قال مرة : « انتصرت على العدو ، و فتحت البلاد هل تستطيع أن انتصر على الشعب ؟ » (١)

إنه انتصر على الشعب حقاً فقد جعل الدولة علمانية ، ليس الاسلام دينها الرسمى ، و أحدث الفصل بين الدين والسياسة و قرر أن الدين قضية شخصية ، لكل فرد أن يختار له ديناً و يدين به ، من غير أن يكون له دخل فى السياسة ، و الادارة ، و ألغى الخلافة ، و ألغى المحاكم الشرعية ، و قانون الشريعة الاسلامية ، و قرر العمل بالقانون المدنى السويسرى ، و القانون الجنائى الايطالى ، و القانون التجارى الألمانى ، و أدخل الأحوال الشخصية فى القانون المدنى الأوروبى ، و منع التعليم الدينى ، و عطل مراكزه ، و منع الحجاب ، و قرر السفور و التعليم المختلط ، و ألغى الحروف العربية و أبدلها بالحروف اللاتينية ، و منع الأذان بالعربية و جعله بالتركية ، و غير اللباس ، و ألزم لبس القبعة ، و بعبارة مورخه .

« قد حطم الأساس الدينى و غير وجهة نظر الشعب التركى

و الحكومة التركىة ، (٢)

(1) Grey Woolf . P 287

(2) P . 190

إن « أتاترك » نجح في إقصاء العنصر الاسلامى و العربى من الحياة التركية ، و لا يدرى أحد هل كان هذا الانتصار موقتا تقضى عليه ثورة الشعب التركى المسلم ، و انتفاضته الايمانية ، أم تطول مدته ، و على كل فقد كان تغييراً شاملاً عميقاً .
تأثير أتاترك فى

العالم الاسلامى : و هكذا كانت تركيا - مع الأسف - طليعة حركة التجديد - و بعبارة أصح التجدد - و طليعة « التغريب » و قدوة الزعماء « التقدميين » فى الدول والحكومات و الأقطار الاسلامية ، و كان كمال أتاتورك رمز التقدم و « الثورة » فى كل بلد ناهض ، و فى كل مجتمع متحرر فى العالم الاسلامى ، و المثل الأعلى للقادة و السياسيين و المفكرين المسلمين على اختلاف أجناسهم و بيئاتهم ، و لا نعرف زعيماً - على فقره فى النبوغ العقلى و التعمق - من زعماء البلاد الاسلامية أثر فى العقول و النفوس ، و أثار الإعجاب بشخصيته و أعماله و أثار الرغبة فى تقليده و الاحتذاء به ، مثل ما فعل « كمال أتاتورك » فى الزمن الأخير .

و كان السبب الأكبر فى ذلك ما اشتهر أنه أنقذ تركيا من الخطر المحدق بها الآخذ بالخنق ، و أسس حكومة قوية ، و كسب احترام الحكومات الأوربية و الزعماء السياسيين فى أوروبا ، و كان المسلمون فى الشرق متعطين إلى القوة السياسية

و المجدد و الاستقلال ، يخضعون بالاجلال لكل من يتسم بذلك
أو يسعى إلى ذلك ، نخضعوا لآتاتورك و دانو له بالحلب العميق
و التقديس المفرط ، و نسوا في تقديسهم ما للشعب التركي المؤمن
الشجاع من سهم و من فضل في هذه الثورة ، و في التمرد على
الأوضاع القاسية ، و الأمم الضارية ، و في بناء هذا الكيان
القومي المتين ، و ردوا الفضل كله في ذلك إلى عبقرية « كمال »
و قيادته الفذة .

و السبب الثاني أن اصلاحاته صادفت رغبة في نفوس
الزعماء القوميين ، و عبرت عما تجيش به نفوسهم من القلق و
الثورة على القديم ، و التحرر من ربة الدين ، و الاتجاه بشعوبهم
إلى الحضارة الغربية ، و مهما كانت الأسباب فان كمال أتاتورك
قد حل محلا في النفوس لم يشغله زعيم شرقي من زمن طويل ،
و كان له تأثيره المتوقع في اتجاه الشعوب و الأمم الاسلامية
و الموقف الذي اتخذته أزاء الحضارة الغربية .

الصراع بين الشرق

و الغرب في الهند : و كان المجال الثاني الذي ظهر فيه
— لعوامل سياسية و ثقافية — الصراع بين الشرق و الغرب واضحا
قويا ، و كان مكلفا باختيار أحد الطريقتين ، الحياة الاسلامية
على أساس العقيدة و الايمان ، و الحياة الغربية على أساس القوة
و التقدم ، هو الهند التي توطدت فيها الحكومة البريطانية ،

الزعيمة للحضارة الغربية في الشرق و زحفت إليها العلوم الحديثة
و التنظيمات الجديدة ، و ما تستتبعها من آلات و مصنوعات
و آراء و فلسفات ، و كان الشعب الاسلامى الهندي منهوك
القوى ، مثخنا بالجراح ، مجروح الكرامة ، تعاني دهشة الفتح
و عار الهزيمة ، و جيشاً من التهم و الظنون ، و يواجه فاتحاً
ممتلئاً بالقوة و الشباب و الثقة ، و حضارة زاخرة بالجدة و
النشاط و الانتاج ، و قضايا كثيرة و مشكلات تطلب الحل
السريع الحازم ، و الموقف الواضح الحاسم .
القيادة الدينية

و المدرسة القديمة : في هذه الساعة العصيبة الدقيقة ، و في هذه
الحالة النفسية المحرجة برز في الميدان نوعان من القيادة ،
أولهما القيادة الدينية التي يتزعمها علماء الدين ، و القيادة الثانية ،
يتزعمها سيد أحمد خان و تلاميذه و أنصاره من أهل المدرسة
الجديدة .

أما علماء الدين فقد كانوا أقوى علماء العالم الاسلامى شخصية
دينية ، و من أكثرهم رسوخاً في الدين ، و زهداً في الدنيا ،
و إشاراً للآخرة ، و غيرة على الاسلام و جهاداً في سبيله
بالنفس و النفيس ، و لكن جوهر الخصاص الذي عاشوا فيه ،
و ثقافتهم القديمة ، لم تمكنهم من السيطرة على هذه الحضارة
الغربية و الثقافة الجديدة و قيادتها إلى ناحية جديدة مجددة تعود

على الإسلام و المسلمين بالنفع و القوة .

ثم إن الهمجية التي ظهرت من الحكومة الانجليزية والقسوة النادرة التي عاملت بها المسلمين الذين اعتبرتهم أصحاب الفكرة في الثورة الفاشلة سنة ١٨٥٧ م و قادتها (١) و تحمس الحكام و الولاة الانجليز لنشر المسيحية في طبقات الشعب الهندي ، والسريعة الزائدة التي كانت الحضارة الغربية تنتشر بها في الجمهور وتأثيرها في عقيدة المسلمين و أخلاقهم، كل ذلك وضعهم في مركز الدفاع عوضاً عن الهجوم ، و جعلهم يفكرون في الاحتفاظ بالبقية الباقية من العاطفة الدينية ، و الروح الاسلامى و مظاهر الحياة الاسلامية و الدعوة إلى التجنب عن هذه الحضارة و الابتعاد عنها ما أمكن ، و جعلهم يفكرون في بناء معادل الحضارة الاسلامية و الثقافة الاسلامية ، و العلوم الشرعية ، و تخريج العلماء و الدعاة و المرشدين من هذه المعادل التي سميت بعد بالمدارس العربية .

و كان على رأس هذه الحركة الإصلاحية و التعليمية المنتجة هـولانا محمد قاسم النانوتوى (٢) مؤسس معهد ديوبند الكبير ، و

١ - إقرأ فصل هـ الدور الذي قام به المسلمون في تحرير الهند ، في كتابنا هـ المسلمون في الهند ، ص ٨٤ - ٩٤

٢ - هو الشيخ الامام قاسم بن أسد على البكرى النانوتوى ولد بنانوته سنة ١٢٤٨ و قرأ على الشيخ مملوك العلى النانوتوى و أخذ الحديث عن الشيخ عبد الغنى بن ابى سعيد الدهاوى و أخذ الطريقة عن العارف الكبير الشيخ امداد الله العمري التهانوى و أسهم في ثورة سنة ١٨٥٧ على الحكومة الانكليزية و اضطر إلى الاختفاء مدة من الزمان و تبنى فكرة تأسيس مدرسة كبيرة في ديوبند و انقطع إليها و كانت له مراقب هـ

كان لهذه الحركة وقادتها فضل كبير في تمسك الشعب الهندي
الإسلامي بالدين و شريعة الإسلام ، و تفانيه في سبيله ، و التماسك
أمام الحضارة الغربية المادية الإلحادية تماسكاً لم يشاهد في بلد
إسلامي آخر تعرف بهذه الحضارة و وقع تحت حكم أجنبي ، و
كانت ديوبند زعيمة هذا الاتجاه و المركز الثقافي ، الديني و
التوجيهي الإسلامي الأكبر في الهند (١)

حركة ندوة العلماء : و كانت حركة ندوة العلماء الفكرية التي
أسسها مولانا محمد علي المونكيري (٢) وقادها الأستاذ شبلي

عظيمة في مناظرة النصارى و الآرية ظهرت فيها براعته و ذكاؤه و إخلاصه و عارض
قائد الحركة التعليمية الجديدة السيد احمد خان لآرائه الشاذة و حرية الزائدة في تفسير
القرآن و الدعوة إلى تقليد الحضارة الغربية و قد اعترف للسيد احمد خان بتبحره في العلم
و إخلاصه في المعارضة و زهده في زخارف الدنيا ، له مؤلفات بديعة أشهرها تقرير
داپنيز ، و حجة الإسلام ، و آب حیات ، توفي إلى رحمة الله سنة ١٢٩٨ هـ
١ - أنظر فصل مراكز العلم و الثقافة الإسلامية ، في كتاب و المسلمون في الهند
ص ٦٤ - ٦٦ .

٢ - هو السيد محمد علي بن عبد العلي الحسيني ، ولد في كانفور في ٣ شعبان ١٢٦٢ هـ
٢٨ يوليو ١٨٤٦ م ، تخرج في مدرسة فيض عام كانفور ، و بايع الشيخ العارف فضل
رحمن الكنج مراد آبادي و اختص به ، قاوم حركة التنوير في الهند مقاومة فعالة و
ألف و كتب و قام بجولات واسعة في البلاد و أسس ندوة العلماء في سنة ١٣١٠ هـ
- ١٨٩٣ م ، و أنشأ دارالعلوم التابعة لها في عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م ، و قاوم حركة
القاديانية في بهار ، و بايعه خلق كثير يعدون بالآلاف ، توفي في ٩ ربيع الأول
سنة ١٣٤٦ هـ و كان من كبار المخلصين و العلماء الربانيين الذين شعروا بتغير الأحوال و
الأوضاع في العالم الإسلامي ، و نهضوا للتجديد في مناهج التعليم الديني .

النعيماني (٣) و زملاؤه ، و دارالعلوم التابعة لها جديرة بإحداث
قنطرة تصل بين الثقافتين الإسلامية و الغربية ، و الطبقتين ، علماء
الدين و المثقفين العصريين ، و إحداث فكر جديد يجمع بين
محاسن القديم و الجديد ، و بتعبير أصحاب هذه المدرسة الفكرية
« بين القديم الصالح و الجديد النافع » و « بين التصلب في
الأصول و الغايات و التوسع و المرونة في الفروع و الآلات »
فكانت — لو قدر الله — خطوة مباركة و فتحاً جديداً يستحق
التقاييد في الأقطار و المجتمعات الإسلامية التي خاضت في ذلك العهد
في معركة الصراع بين القديم و الجديد ، و لكن هذه الحركة
لم تحظ بالتعاون الذي كانت تستحقه من كلتا الطبقتين ، القديمة و
الجديدة ، لا تساع الفجوة بينهما ، و لوجود التطرف و المغالاة
فيهما ، و للخلافات التي حدثت في صفوف العاملين لهذه الفكرة ،
و أخيراً لا أخيراً لدم وجود طبقة من الأساتذة والموجهين ،

٣ - هو الشيخ شبلي بن حبيب الله ولد في سنة ١٢٨٤ هـ في أعظم كـرّه ، و درس
زماناً في كلية علي كـرّه ، و صحب السيد أحمد خان مؤسس الكلية و أنكر بعض
اتجاهاته المتطرفة و فارق الكلية و زار تركيا و مصر و سوريا ، و أقام في حيدرآباد
خمس سنين ، مديراً لنظارة العلوم و الفنون ، و أسهم في حركة ندوة العلماء و كان
عضواً النشط و المشرف التعليمي لمدة ثمانية أعوام ، ثم استقال و أسس المجمع العلمي
المعروف بدارالمصنفين ، في أعظم كـرّه و ألف في التاريخ الإسلامي كتباً مهمة ، و كانت
له مكانة مرموقة في الشعر و الأدب و التاريخ ، و من مصنفاته المشهورة ، سيرة المأمون
وسيرة النعمان ، و كتاب الجزية في الإسلام ، و حقوق الذميين ، و الفاروق و شعر
العجم و غير ذلك ، توفي ١٣٢٢ هـ ببلدة أعظم كـرّه .

الذين قد تبحروا في الثقافتين ، و قد أحسنوا هضمهما ، و كونوا من هذه المواد — التي قد تبدو متناقضة — رحيقاً صافياً شهياً نافعاً ، كما تعمل النحل من الأزهار و الأشجار ، و بقي معظم الشعب يتأرجح بين طبقتين ، طبقة ترى العدول عن القديم و نظمه التعليمية و الانحراف عنها قيد شعرة ضرباً من التحريف أو نوعاً من البدع ، و طبقة تقدر كل ما جاء من الغرب و تبرئه من كل عيب و نقص ، و تعتقد بأصحابه العظيمة و العبقريّة ، في جميع الآراء و المذاهب الفكرية .

قيادة السيد أحمد خان

و مدرسته الفكرية : أما القيادة الثانية التي تزعمها سيد أحمد خان فقد قام على أساس تقليد الحضارة الغربية ، و أسسها المادية و اقتباس العلوم العصرية بحذافيرها و على علاتها ، و تفسير الإسلام و القرآن تفسيراً يطابقان به ما وصلت إليه المدنية و المعلومات الحديثة في آخر القرن التاسع عشر المسيحي (١) و يطابقان هوى الغربيين و آرائهم ، و تقبلها أذواقهم ، و استهانة بما لا يشتهه الحس و التجربة ، و لا تقرره علوم الطبيعة في بادى النظر ، من الحقائق الغيبية ، و أمور الطبيعة (٢)

١ - و كان كما لا يخفى دوراً لم تبلغ فيه العلوم الطبيعية نهايتها و اكتمالها ، و كانت لاتزال في دور الطفولة و النشوء و الارتقاء .

٢ - إقرأ للتفصيل و فهم أسلوب التفكير الديني الذي اتبعه سر سيد أحمد خان في آرائه الدينية و مناهجه الكلامية ، كتاب — Religious Thought of

شاهد السيد أحمد خان (١) انهيار الحكومة الاسلامية
المغولية التي كانت صورة مصغرة شاحبة للامبراطورية الاسلامية
و رأى إخفاق الثورة الكبرى في سنة ١٨٥٧ م ، و اطلع على
أسباب هذا الاخفاق الذريع و انهزام مجموعة كبيرة ضخمة من
أهل البلاد أمام حفنة من الأجانب الغرباء ، و رأى ما دفع
المسلمون من قيمة هذه الثورة التي رسموا خططها و تولوا كبرها ،
و رأى هوان الشعب الكبير الذي كان صاحب الأمر و النهى
في البلاد ، و شقاء الأسر و البيوتات الكبيرة ، و رأى سطوة

— Syed Ahmad Khan.

مؤلفه بشير أحمد دار (Bashir Ahmad Dar M. A.)

Institute of Islamic Culture, LAHORE.

من مطبوعات مجمع الثقافة الاسلامية .

١ - هو السيد أحمد بن المتقى بن الهادي الحسيني الدهاوي ، ولد في سنة ١٢٢٢ هـ
١٨١٧ م و قرأ المتوسطات في العلوم العربية ، و عنى بالهيئة و الهندسة و الاقليدس عناية
خاصة ، و تولى الوظائف و القضاء في الحكومة الانجليزية ، و ألف كتباً ذات قيمة علمية
في التاريخ ، و تولى تصحيح بعض الآثار العلمية و المؤلفات القديمة ، و أشرف على
ضبطها و نشرها ، و كان من انصار الحكومة الانجليزية و ممن سعى في إخماد ثورة
١٨٥٧ م و توطيد الحكم الانجليزي و إزالة سوء التفاهم و الوحشة بين الشعب و الحكومة
و كاناته الحكومة على ذلك براتب شهري ، و أنشأ جمعاً علياً للترجمة و التأليف
و النشر ، و أصدر مجلة تهذيب الأخلاق ، و سافر إلى اوربا سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م)
و ألف هناك كتابه المشهور الخطبات الاحمدية في العرب و السيرة المحمدية في الرد على
السير و ايم مير ، و الدفاع عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، و أنشأ سنة
١٨٧٥ م كلية اسلامية انجليزية ، و هي التي تسمى الآن جامعه عليكره الاسلامية
و توفي سنة ١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م .

الانجليز تقوم على هذه الانقاض ، و ابهة ملكهم ، و طلائع
مدنيتهم الخلاية ، و آياتها الباهرة ، و اتصل بالانجليز اتصالا
وثيقاً عن طريق الوظيفة و الزمالة ، و عن طريق الصداقة و
التعارف ، فأعجب بذكائهم و كفاءتهم و مدنيتهم ، و كان رجلا
مرهف الحس ، حاد الذهن ، قوى العاطفة عصبياً ، سريع الانفعال
و القبول ، مشاركاً في الثقافة الدينية غير راسخ فيها ، و لامتقن
لها ، جريئاً في إبداء الرأي فتأثر بالانجليز ، تأثر المغلوب بالغالب ،
و الضعيف بالقوى ، و قلد حضارتهم ، و أساليب حياتهم شخصياً
و صار يدعو إلى هذا التقايد في حماسة و قوة ، و يرى أن
هذا التقليد و الظهور في مظهر سيد البلاد و مجاراته في الحياة و
العادات تزيل الهيبة من قلوب المسلمين ، و تعالج « مركب
النقص » فيهم ، و ترفع مكانتهم في عيون الولاة ، و رجال
الحكومة و تضعهم في مكان الزملاء ، الشركاء في الحياة ، الأقران
في الاجتماع ، يدل على هذه الفكرة دلالة واضحة ما جاء في
بعض مقالاته ، يقول :

« لا بد أن يرغب المسلمون في قبول هذه الحضارة ،
(الغربية) بكاملها حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم أعينها ،
و يعتبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة » (١) .

و قام السيد أحمد خان برحلة انجلترا في أول أبريل ١٨٦٩م

١ - مجلة « تهذيب الاخلاق » ، مقالات السيد أحمد خان ج ٢ ص ١ .

فكان أول مسلم هندي سافر إلى الجزائر البريطانية ، في هذا العهد المبكر ، و قد كانت قناة السويس في دور الإنشاء (١) و قد قابل صاحب فكرتها و الاشراف عليها المهندس الفرنسي الشهير الموسيو فردينان دي ليسبس (Ferdinand De Lesseps) الذي كان مسافراً في نفس السفينة .

و كان السيد أحمد خان موضع حفاوة نادرة في لندن ، و قد مكث فيها سبعة عشر شهراً ، كان فيها ضيفاً مبهجاً و زائراً كريماً ، و صديقاً عزيزاً ، في الأوساط الانجليزية المحترمة ، و حضر المآدب الملكية الفخمة و الولايم « الارستقراطية » التي تمثل الحضارة الأوربية في أروع مظاهرها ، و أخلاق الطبقة الحاكمة ، و طبقة الأشراف ، و نال الوسام الملكي و لقب الشرف ، و قابل الملكة ، و ولي العهد و الوزراء الكبار ، و اختير عضواً فخرياً في جمعيات علمية ذات الشرف الكبير ، و حضر حفلة نادي المهندسين الكبار و اطالع على المشاريع و الخطط التقدمية التي مرت بها البلاد في الزمن القريب ، و التي أحدثت ثورة و انقلاباً في الأوضاع ، و في مستوى البلاد ، و مكنتها من بسط نفوذها و سيطرتها الفكرية و السياسية .

١ - و في ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ (أثناء وجود السيد احمد خان في لندن) فتحت التربة لمرور المراكب و جرى ذلك باحتفال عظيم لم يكد يسمع بمثله و ما رجع السيد احمد خان إلى بلاده إلا و المشروع العظيم قد تم و التربة مفتوحة للسفن .

رأى السيد أحمد خان فرنسا و إنجلترا و هما فى أوج
مدنيتها ، و فى ريعان الصناعة الحديثة ، و العلم الجديد ، و رأى
المجتمع الأنجليزى فى عصر لم يتسرب إليه الوهن ، و لم يعتره
الضعف الذى أصيب به بعد الحرب الأولى ، و رأى الحيوية
تدفق منه ، و الطموح إلى غزو العالم و إخضاعه يملك زمامه ،
و قد شغل بمشاهدة جانبه المشرق الوضاء عن مشاهدة جانبه الضعيف
الأسود ، و هو الجانب الخلقى و الروحى ، و جانب الاستعمار
الغاشم ، و الاجرام العالمى و الأثرة القومية ، و القسوة على
غير الأنجليزى - التى رأى مظاهرها فى الهند - فأعجب بهذه
الحضارة و المجتمع الذى يمثلها إعجاباً ملك عليه النفس و الفكر ،
و ملاء جميع جوانحه و جوانب تفكيره ، و رجع إلى البلاد فى
٢ من أكتوبر سنة ١٨٧٠م داعية متحمساً إلى تقايد الحضارة
الغربية ، و إصلاح المجتمع الإسلامى الهندى على أساس تقاليد
المجتمع الأوروبى و مبادئه و قيمه ، و تبنى هذه الدعوة بكل
إخلاص و بكل حماسة ، و وهب لها مواهبه كلها ، و أصبحت
نظرة مادية ، بحتة تخضع للقوى الطبيعية ، و السنن الكونية - كما
يفهمها - خضوعاً زائداً ، و يخضع لها عقيدته و يؤول على
أساسه القرآن تأويلاً يبلغ به حد التحريف و العبث بأصول العربية
و اللغة ، و النحو و التواتر و الاجماع ، فصار يفسر القرآن

تفسيراً (١) يخرق فيه الاجماع ، و ينقض به اللغة ، و يشير
العجب و الإنكار في الأوساط الدينية ، و العلمية ، و قد أصاب
الدكتور محمد البهي في نقد هذا الاتجاه إذ يقول في كتابه
« الفكر الإسلامى الحديث »

« فركز السيد أحمد خان كانت تقوم على الافتتان بالعلم
الطبيعى و الحضارة الغربية المادية ، كما يفتتن في عصرنا الحاضر
بعض المفكرين بما يسمى « العلم » (Science) و بالمركبات
الحضارية التي قامت عليه ، و الافتتان بالعلم الطبيعى أو بالطبيعة
كما يقال يؤدي إلى خفة وزن القيم الروحية و المثالية و هى القيم
التي تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التي يمثلها الإسلام أوضح
تمثيل ، و قد يصير الافتتان بهذا العلم الطبيعى إلى إنكار كل قيمة
أخرى مما لا يشاهد في الطبيعة ، و يدرك بالحس الإنسانى ، و
من هنا ربط السيد جمال الدين الأفغانى بين إلحاد السيد أحمد
خان و مذهبه الدهرى أو الطبيعى مع بقاء انتسابه إلى الإسلام ،
و نعتة بالإلحاد رغم ما كان يكرره من القول من أنه يدافع
عن الإسلام . و أنه يعنى أن يوجد طريقاً للإسلام المعاصر
يوفق فيه بين إسلامه و تقبله الحياة العصرية التي قامت على إثر
نهضة العلم الطبيعى » (٢)

١ - أسماء و تفسير القرآن و هو الهدى و الفرقان ، كتبه في اردو في ستة

مجلدات ، و قد وصل فيه إلى تفسير سورة النحل . ٢ - ص ١٥ - ١٦

و قد كان هذا الاتجاه المادى المتطرف و الاسراف فى
تمجيد العقل و المبالغه فى سلطانة و حدوده ، و إخضاع إرادة
الله و قدرته و كتابه لقوانين الطبيعة و قوانين هذا العالم ، و
الجراءة على التفسير و تأويل معانى القرآن ، تأويلاً جريئاً قد
فتح باباً واسعاً للفتنة و التحريف و الإلحاد فى آيات الله و الفوضى
فى الدين و العقيدة التى انتشرت فى العصر الأخير (١)
جوانب الضعف فى

فكرة السيد أحمد خان : اتسمت خطة السيد أحمد خان التعليمية
بسمتين تقاصرت بسببهما عن أن تكون الثورة المنشودة التى تشتد
إليها حاجة العالم الإسلامى ، و عملاً ايجابياً بناءً يلائم وضع هذا
المجتمع القائم على أساس العقيدة و الإيمان ، و الرسالة المحمدية ،
و يملأ الفراغ الهائل الواقع العالم فى الإسلامى كله .
أولاً أنه لم يفكر فى إخضاع هذا النظام التعليمى الذى أخذ
شكله النهائى فى البيئة الغربية ، لطبيعة هذا المجتمع الإسلامى الهندى
الذى كان يريد تطبيقه فيه ، و حاجاته و أوضاعه ، و لم يفكر

١ - قد يفهم القارى من كتاب « الفكر الإسلامى الحديث » للدكتور محمد البهى
(ص ١٧) أن المذهب القاديانى انبثق من الحركة التجديدية الدينية التى قام بها السيد
أحمد خان و ليس الأمر كذلك فإن السيد أحمد أنكر هلى مؤسس القاديانية ادعاء
النبوة و عارضه، إن قصارى الأمر أن الجو الذى هياه السيد أحمد خان قد ساعد فى
انتشار هذا المذهب و قول آراء صاحبه المتطرفة و قد كان خليفة القاديانى و عقله الأول
نور الدين الحسكيم بن كبار المهجرين بمدرسة السيد أحمد خان فى التفسير و التأويل .

في سبكه سبكا جديداً اسلامياً هندياً ، و لم يفصله عن الحضارة الغربية و روحها المادية التي لا لزوم لها في بلد اسلامى شرقى بل انه استورد هذا النظام من الغرب بتفاصيله و خصائصه و روحه و طبيعته ، و مع الحضارة التي تكثفه ، و ألح على كلا الجزئين - المنهاج التعليمى ، و الحضارة الغربية - إلحاحاً شديداً بل شرط - فى قانون الكلية - أن يكون العميد دائماً انجليزياً و أستاذان - على الأقل - من الانجليز ، و مدير الثانوية من الانجليز ، و يزداد فى هذا العدد كلما اتسعت له ميزانية الكلية (١) .

و هكذا كان فلم يزل أربعة أو خمسة من الأساتذة الكبار من الانجليز يتولون التدريس فى أقسام مختلفة و يشرفون عليها ، و كان لهم تأثير شديد عميق فى نظام الكلية ، و أخلاق الطلبة حتى استطاعوا - بنفوذهم - أن يلعبوا دوراً مهماً فى سياسة البلاد ، و قد كان عميد الكلية المستر ثيودريك - الداهية الانجليزى - صاحب التوجيه الأول فى السياسة الاسلامية الهندية ، و قيادة الرأى ، و قد كان لهذا التوجيه عواقب و خيمة فى السياسة ، و اتجاه المسلمين السياسى (٢) .

و هكذا اقترنت دعوة السيد أحمد خان التعليمية بالدعوة إلى الحضارة الغربية من غير لزوم و حاجة إلى ذلك ، فحامت

١ - حياة جاويد (سيرة سيد احمد خان) لصديقه الأستاذ الطاف حسين حالى ص ٢٨٢

٢ - إقرأ فصل الدور الذى قام به المسلمون فى تحرير الهند ، فى كتاب المسلمون فى الهند ، للمؤلف .

حولها الشبهات و اكتنفتها أجواء من السخط و الإستياء ، و أثارت انكاراً شديداً فى الأوساط الدينية ، و رافقتها — منذ نشوئها — دعوة إلى مقاطعة هذه الحركة و الابتعاد عنها ، خلقت مشكلات كثيرة فى سبيلها ، و عارضها علماء الدين الذين لم يكونوا يعارضون تدريس اللغة الانجليزية و العلوم المفيدة ، لما اقترن بها و رافقها من أول يومها ، من الخضوع للحضارة الغربية و قيمها ، و التأثير فى الأخلاق و العقائد ، و بسبب سيطرة الأساتذة و رجال الادارة الانجائز و نفوذهم فى هذه المؤسسة الوليدة ، و فى عقول الشباب المسلمين — الذين ينتمون إلى أكرم الأسر الاسلامية و أذكاهما — و فى أخلاقهم . و قد نشأ — بفعل هذه المؤثرات و بتأثير الجو الغربى الذى يسود فى هذا المعهد — جيل مثقف اسلامى الاسم غربى التفكير ، إنجليزى الطراز ، مضطرب العقيدة ، يعيش فى عزلة عن المجتمع بعيداً عن أحاسيسه و مشاعره ، مختلفاً عنه فى مستوى المعيشة ، و يخلق مشكلة جديدة فى البيوتات و فى المجتمع الاسلامى ، و لا ينسجم معه انسجاماً كلياً .

و السمة الثانية أنه تمسك فى هذا النظام التعليمى بتعليم اللغة و الآداب فقط ، و لم يعن بتعليم الفنون و العلوم التطبيقية العملية العناية التى تستحقها مع أنها هى ثمرة العلم الجديد اليا نعة ، و سر قوة الأمم الغربية و سيادتها ، و هى التى يجب أن

تستفاد من الغرب و يحرص على دراستها و البراعة فيها ، بل أنه — سبحانه الله — عارض في بعض الأحيان تعليم الصنائع و العلوم معارضة شديدة ، و كتب في هذا الموضوع مقالات شديدة اللهجة ، مريرة النقد ، آخرها المقال الذي نشرته مجلة « عليكركه كزت » ، (Aligarh Gazette) في عددها الصادر يوم ١٩ فبراير سنة ١٨٩٨ م يقول فيه : « إن الهند نظراً إلى حالتها الراهنة ليست في حاجة إلى تعليم الصنائع ، إن الأهم المقدم هو الثقافة الفكرية من المستوى الأعلى التي لم تتحقق أو لم تكمل بعد » و قد تخوف السيد أحمد خان بما كان يقرأ لكبار الانجليز من الحث على دراسة العلوم الصناعية أن الانجليز يريدون وقف التعليم العالي أو تعليم الآداب الغربية ، فكان يحارب هذه الفكرة بكل قوته و بلاغته ، و قد ألقى محاضرة طويلة في حفلة مؤتمر التعليم الاسلامي الخامسة في هذا الموضوع ، و عارض أن يكون مشروع تعليم العلوم الصناعية على حساب تعليم الآداب الانجليزية و الدراسات الأدبية ، و قد عرض هذا المشروع مراراً و بحث فيه في لجان جامعة إله آباد ، و كان السيد أحمد خان من كبار خصومه و معارضيه (١) .

و كانت نتيجة ذلك أن الجامعة الاسلامية اتجهت اتجاهها علياً أدبياً محضاً ، و سيطرت عليه نزعة التقليد و التطور ، و

١ . حياة جاويد ص ٣٠٢ — ٣٠٣ .

نزعة التوسع في الآداب و خرجت عدداً لا يستهان به من الخطباء
و الأدباء و الإداريين و القضاة و الموظفين الكبار ، و لم تخرج
— بطبيعة الحال — رجالاً مبرزين و مبتكرين في علوم الهندسة
و الميكانيكا ، و الطبيعة و الكيمياء و الصناعات المفيدة ، العلوم
التي كان الشعب الإسلامي الهندي في فقر شديد فيها ، و كانت
ذلك من أسباب تخلفه و اقتصاره على الوظائف الحكومية و
المراكز الإدارية المحدودة دائماً .

محصول هـ —

الحركة و اتجاها : و على كل فقد آتت هذه الدعوة التعليمية
— التي تزعمها السيد أحمد خان بقوة و إخلاص — ثمراتها ، و
ملأت الفراغ الثقافي و الاقتصادي الواقع في المجتمع الإسلامي
الهندي ، بعد استقرار الحكم الأنجلو هندي في الهند ، و عاج — إلى
مدى محدود — القلق و اليأس المسيطرين على نفوسهم ، و تخرج
في هذه الجامعة بعض خيرة الشباب و قادة الفكر ، و الزعماء
السياسيين و أدباء كبار ، و شخصيات قوية قادت حركة
« الخلافة » (١) و حركة التحرير في الهند و ساهمت في قيام دولة
باكستان و إدارتها بعد ، و لكنها — على ما لها من فضل في
ثقافة المسلمين الجديدة و في حالتهم الاقتصادية — لم تحقق

١ - هي حركة تائيد الحكومة العثمانية في قضاياها الإسلامية و معارضة الحلفاء و

كانت من أقوى حركات الهند الإسلامية السياسية .

الغرض المطلوب من الاستفادة بتجارب الغرب و تكييفها للمجتمع
الاسلامى و ظروفه ، و لم تملأ الفراغ الواقع الهائل ، فراغ
الجيل الاسلامى الجديد ، الراسخ فى عقيدته ، القوى فى إيمانه ،
العارف لرسالته و دوره فى قيادة المدنية ، الواسع فى ثقافته ،
المرن فى تفكيره ، الآخذ من الثقافة الجديدة محاسنها و لبابها ،
المتجنب عن شرورها و فشوئها ، الأصيل فى إنتاجه ، الجيل
المرتقب الذى كان يتطلع إليه العالم الاسلامى - و لا يزال -
فى لهف شديد و صبر نافذ ، الجيل الذى كان يستطيع بتوفيق الله
تعالى أن ينقذ العالم الاسلامى من الحيرة التى كان يتورط فيها ،
و من الضعف الذى قد تسلط عليه ، و يمنحه مركزاً رئيسياً فى
قيادة الأمم ، و توجيه المدنية .

أكبر الاله آبادى

الشاعر الشائر : وقد حارب هذه النزعة التطبيقية التقليدية - التى
يقودها السيد أحمد خان - حرباً لاهوادة فيها معاصر مثقف ثقافة
قديمة و جديدة ، يعتبر من أكبر شعراء عصره ، و هو السيد
أكبر حسين (١) الاله آبادى ، المتلقب فى شعره بـ « أكبر » ،

١ - هو السيد أكبر حسين بن تفضل حسين ، ولد فى سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) فى مديرية اله آباد
و تلقى الثقافة الاسلامية و درس اللغة الانجليزية ، و اجتاز فى سنة ١٢٨٤ هـ امتحاناً
فى الحقوق ، و تولى القضاء ، و تنقل فى الوظائف القضائية ، إلى أن أحيل إلى المعاش
سنة ١٣٢٠ (١٩٠٣ م) و لقبه الحكومة الانجليزية بلقب « خان بهادر » (يساوى
بك فى المجتمع المصرى) و لقبه الشعب الهندى بلقب « اسان النصر » ، نغلب لقب -

و استخدم لنقدھا و الانكار على هذا الجيل المثقف الجديد أسلوب
الفكاهة الحلوة ، و الأدب الخفيف الروح من أبلغ الأساليب
الأدبية و اقواھا ، و أجمالها في هذا العصر و جعل ذلك موضوع
شعره طول حياته ، ينتقد سياسة السيد أحمد خان - الذي يعترف
باخلاصه - التعليمية و ما كان يدعو إليه من تقليد الغرب و
تطبيق مناهج حياته ، و ينتقد الحياة السائدة في الكلية الإسلامية ،
و ما تتسم به من تقليد أعمى للغرب ، و تساهل في العقيدة ،
و رقة في الدين ، و تبذير في الأموال ، و تألق في المظاهر ، و
نفور عن الدين و رجاله ، و نهامة للحياة ، و تهالك على
الوظائف الرسمية ، و تخل عن التراث الشرقي القديم ، و عن
تقاليد و مبادئه ، و ثورة عايبها ، و اندماج في المجتمع الغربي
الغريب ، و سيطرة التفكير المادي الاقتصادي المحض ، و يصور
— بشاعريته الساحرة و ريشته البارعة — الجيل الجديد ، تصويراً
دقيقاً ، واضح القسّمات و الملامح .

— الشعب لقب الدولة الرسمي .

وكان — رغم ثقافته الحديثة العميقة — ديناً محافظاً سليم العقيدة ، قال في الليلة
التي توفي فيها ، و ما فاتني فريضة ، و لا غفلك عن حزبي في الليل ، و لا انصرفت
عن تلاوة القرآن طول عمري ، توفي رحمه الله سنة ١٣٤٠ - ١٩٢١ م ، و من آثاره
ثلاثة دواوين شعرية ضخام تلقّتها الأوساط الأدبية و الإسلامية بالقبول و الاستحسان ،
و شهد له كبار الأدباء و الشعراء — منهم العلامة محمد إقبال — بالاجادة ، و إنه إمام
في الشعر الفكاهي الاصلاحى في اردو .

وقد انتشر هذا الشعر في الأوساط الهندية على اختلاف طبقاتها
و اتجاهاتها انتشاراً عجيبياً ، و تلقفه الأدبا و الكتاب و الشباب
و ردده ترداداً لم يعرف لشعر آخر منذ زمن طويل ، و على
نجاح هذا الشعر و تأثيره في تحريك عاطفة الكراهة و الازدراء
و التخفيف من غلواء هذه النزعة التقليدية و قيمة هذه الحضارة ،
لم يستطع بطبيعة الحال أن يحدث ثورة في المجتمع و يقف تيار
التقليد الجارف ، و يؤسس مجتمعاً جديداً لأن الأدب المؤسس
على التهمك و التنادر تأثيره و أجله محدودان ، و لكنه لم يخل
من الفائدة ، و كان من عوامل الاتجاهات الأدبية الاجتماعية
الجديدة في الهند (١) .

الحركة الوطنية و مقاطعة

البضائع الأجنبية : كان هذا الاتجاه التقليدي في الهند
— الذي قاده السيد أحمد خان في المسلمين و غذته الحكومة
الانجليزية و نظام المعارف — في الطبقة المثقفة ، حراً في سيره
لا يعوقه شئ ، و لا يخفف من حدته إلاهدوء الطبيعة الهندية ،
و اعتدالها في قبول كل جديد ، و تمسكها بالقديم و بالبساطة ،
إلا أنه كان جديراً كل الجدارة بأن يكون الاتجاه العام السائد
على البلاد على مر الأيام ، و يجعل من الهند الشرقية مجتمعاً غريباً

١ - للمؤلف مقالة مسهبة نشرت في مجلة الفتح المصرية ، مجلد العام التاسع ١٣٥٤ هـ ،

عدد ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، و مجلة الضياء ، الصادرة من لكهنؤ الهند .

في تفكيره و أساليب حياته ، و في حضارته و إجتماعه ، و لكن حادثا حال دون ذلك ، و غير اتجاه التاريخ .

حدث ما يضعف سلطان الحكومة الانجليزية - التي تزعم هذه الحضارة في الهند - في النفوس و العقول ، و يشير الشك في قيمة هذه الحضارة و جدارتها للقيادة و استعدادها للانصاف و تحقيق العدالة الاجتماعية ، و ما يشير السنخط الشديد و الكراهة العميقة لزعماء هذه الحضارة و ممثليها في الشرق ، و ما يحرك الشعور القوي بالشخصية و بالكرامة في أهل البلاد ، و يحمل على مقاطعة هذه الحكومة و كل ما يعزى إليها من حضارة و مظاهر و شعائر ، و كل ما يمون حركتها التجارية و الاقتصادية و يغذيها، ذلك نشوب الحرب العالمية الأولى (سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ م) و وقوف الحكومة البريطانية - مع حلفائها - الموقف المعادي من الدولة العثمانية التي ينظر إليها المسلمون في الهند - كغيرهم في البلاد الاسلامية - كرمز للجد الاسلامي ، و موئل للخلافة ، و حامية للاسلام ، و لما تمت الهزيمة للاتراك في ١٩١٨ م ، و استولى الانجليز على الآستانة ، و توزع الحلفاء ممتلكات الدولة العثمانية انفجر بركان الثورة في الهند ، و تعاون المسلمون و الهندوس في حركة الخلافة بشكل عام ، و كان غاندى - الزعيم الهندي الشهير - في جبهة القيادة مع زملائه محمد علي و شوكت علي و أبي الكلام آزاد و اقترحوا سنة ١٩٢٠ م مقاطعة الحكومة

و الاضراب عن التعاون معها ، في إدارة الحكومة و جميع مجالات الحياة و مقاطعة البضائع الأجنبية ، فكان أمضى سلاح سلبى استخدمته حركة وطنية ، و انطلقت موجة عنيفة من السخط الشديد اكتسحت البلاد ، تحمل معها الدعوة إلى مقاطعة البضائع الأجنبية و التخلي عن مظاهر الحضارة الأجنبية المستعمرة ، و الظهور في المظهر الوطنى الشعبى ، و التمسك بالبساطة و التقشف فى الحياة ، و الاقتصار على المنتجات الوطنية ، و كانت أعظم و أعنف حركة شاهدها البلاد ، و كانت البلاد كلها — من أقصى حدودها إلى أقصى حدودها — شعلة نار ، و قد هزت سيطرة الحضارة الغربية فى أعماق النفوس ، و اقتلعت جذورها و عروقتها من قلوب لا يحرصها كثرة إلا الله ، و أشعل الناس النيران فى ملابسهم الغربية ، و القماش الوارد من الخارج — من إنجلترا طبعاً — فى جموع حاشدة ، و حفلات كبيرة ، و رفض كبار الأغنياء و المثقفين ، و رجال الطبقة الارستقراطية ، عيشتهم الغربية الباذخة ، و تقشفوا و آثروا الحياة البسيطة الوطنية ، و حدث انقلاب عظيم فى حياة الكثيرين ، من كبار المحامين و التجار و الموسرين ، فقد ملأوا السجون ، و تحملوا المشاق ، و بدأ منهم من الايثار ، و الزهد و القناعة ، و قوة العاطفة الدينية ، و الوطنية و المواساة للفقراء و المحافظة على الشعائر الدينية ، ما لم يكن يتوقع من أمثالهم قبل ظهور هذه الحركة .

و تلت هذه الحركة التي كان طابعها دينيا ، الحركة الوطنية الهندية العامة ، التي ترمى إلى تحرير البلاد ، و طرد الاستعمار ، و إقامة الحكم الذاتي ، و كانت - بخلاف كثير من الحركات السياسية في الشرق - حركة سياسية اجتماعية ذات فلسفة فكرية واقتصادية، فاعتبرت دورها في إضعاف سلطان هذه الحضارة التي جاءت مع المستعمر في تدعيم الشعور الوطني ، و ايثار كل ما هو أصيل و عريق في طبيعته الهندية و يثته الوطنية ، على المستورد الأجنبي، و لاشك أن هذه الحركات السياسية استطاعت أن تفعل - من محاربة مركب النقص ، و من إثارة الاعتداد بالكرامة والتخلص من الاستعمار الفكري و الثقافي - ما لا تستطيعه الفلسفات العلمية الكبيرة ، و ذلك شأن الحركات العملية الشعبية ، التي تتغلغل في أجزاء المجتمع و تسيطر على تفكيره دائما في كل بلد .

محمد إقبال و نقده

للحضارة الغربية : و قد بدأ الشباب الاسلامي الذكي في فجر القرن العشرين يتوسعون في الدراسات الغربية ، و يتعمقون فيها في الجامعات الهندية الراقية ، و قد زالت عنهم دهشة الفتح و هيبة الانجليز ، و بدأت بعثات ثقافية ترحل إلى أوروبا ، و يقيم عدد كبير منهم في عواصمها إقامة طويلة ، ينهلون من مناهلها الثقافية ، و يدرسون العلوم العصرية بدقة و إتقان ، تحت إشراف أساتذة كبار أحرار ، و يعرفون الحضارة الغربية عن كثر لا عن

كتب ، بل يخوضون فيها ، و يسهبون غورها ، و يعجمون
عودها كأي شباب غربي مثقف من أبناء البلد ، و يدرسون
الفلسفات و النظم و المدارس الفكرية ، و يطلعون على دخالها
و أسرارها ، و على الطبيعة الغربية المادية ، و النخوة القومية
الأوربية ، و الأثر الشعبي في نفوس هذه الشعوب ، و يرون
جوانب الضعف و بؤس الافلاس و طلائع الانهيار في المجتمع
الغربي ، و يلاحظون العناصر الصالحة البناءة ، المسعدة للبشرية ،
المفقودة في تركيب هذه الحضارة ، و في طبيعة زعمائها و حملة
لوائها ، و عناصر الفساد الهدامة المدمرة للدين ، المضلة للبشرية
الموجودة في عجينها ، المركبة مع طينها من اليوم الأول ، فيشير
كل ذلك في نفوسهم و عقولهم معاني و أحاسيس لم تكن ممكنة
إلا مع الإقامة الطويلة في أوربا ، و التعمق في فلسفاتها وأفكارها
والدراسة المقارنة ، و إلا مع النظر العميق الجري ، و التحرر من
ربقة التقليد ، و إلا مع الايمان الذي لم يتجردوا عنه ، بل بقي جمرة
في رماد مستعدة للالتهاب في كل وقت ، فيرجع كثير منهم يائساً
من مستقبل الحضارة الغربية ثائراً عليها ، ناقداً نقداً جريئاً عميقاً
متزناً ، لا تطرف فيه و لا انكار للواقع و لا مكابرة في الحقائق .
لقد كان في مقدمة هؤلاء الناقدين الثائرين محمد إقبال (١)

١ - ولد محمد إقبال بن نور محمد في سيالكوت ، مدينة في مقاطعة بنجاب سنة
١٨٧٧ م و انضم إلى كلية الحكومة في لاهور حيث حضر الامتحان الأخير في الفلسفة -

الذى يعتبر بحق البع عقل أنتجته الثقافة الجديدة التى ظلت تشتغل
و تنتج فى العالم الإسلامى من قرن كامل ، و أعمق مفكر
أوجدته الشرق فى عصرنا الحاضر ، و لم نر من نوابغ الشرق و
أذكيائه - على كثرة من أم الغرب منهم و درس هناك -
أحداً نظراً فى الحضارة الغربية هذا النظر العميق و انتقدها هذا
الاتقاد الجرى .

إن محمد إقبال قد لاحظ جوانب الضعف الأساسية فى هذه
الحضارة و تركيبها ، و الفساد الذى عجزت به طينتها لاتجاهها

- و أخذ درجة ماجستير (M. A.) فى الفلسفة بامتياز ، و عين استاذاً للفلسفة و
الانجليزية فى نفس الكلية ، و سافر إلى لندن سنة ١٩٠٥م حيث التحق بجامعة كبرج
و أخذ شهادة عالية فى الفلسفة و علم الاقتصاد و سافر إلى ألمانيا و أخذ من جامعة
ميونخ الدكتوراة فى الفلسفة ، ثم رجع إلى لندن ، و حضر الامتحان النهائى فى الحقوق
و انتسب إلى مدرسة علم الاقتصاد و السياسة فى لندن و تخصص فى المادتين ، و ألقى
عدة محاضرات فى مدراس ، و أخرى فى جامعة كبرج ، و قد اعنى بهذه المحاضرات
المستشرقون و علماء الفلسفة و الدين اعتناءً عظيماً ، و ترجم أكثر كتبه إلى الانجليزية
و الفرنسية و الألمانية و الطليانية و الروسية ، و انتخب رئيساً للرابطة الإسلامية سنة
١٩٣٠م و انتخب عضواً فى المجلس التشريعى فى بنجاب ، و عرض فى خطبته فكرة
باكستان لأول مرة ، و مثل مؤتمر المسلمين ، فى مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣١
- ١٩٣٢ ، و أقامت له جامعة أرسطو ، جامعة روما ، جامعة السوربون ، و جامعة
مجريط و الجمع الملكى فى روما حفلات تكريم ، توفى فى ٢١ ابريل سنة ١٩٣٨ و
شيعت جنازته فى حشد كبير قدام شهد مثله ، و رثاه و أبه كبار الزعماء و قادة
الفكر ، و رؤساء الحكومات ، له سبعة دواوين فى الفارسية ، و ثلاثة فى اردو ، و
و محاضرات فى الانجليزية .

المادى ، و ثورة أصحابها على الديانات ، و القيم الخلقية و الروحية عند نهضتها ، و علل فساد القلب و الفكر الذى اتسمت به هذه الحضارة بكون روح هذه المدنية ملوثة غير عفيفة (١) ، و قد جردها تلوث الروح عن الضمير الطاهر ، و الفكر السامى و الذوق السليم ، و تسلط عليها — رغم المدنية الباذخة ، و الحكومات الواسعة ، و التجارة الراجحة — القلق الدائم ، لقد أظلم الجو فى عواصمها بدخان المصانع المتصاعد الكثيف ، ولكن بيئتها — على كثرة أنوارها — غير متهيأة لفتح جديد فى الفكر و إشراق من عالم الغيب ، إنها حضارة شابة — بحداثة سننها ، و الحيوية الكامنة فيها — و لكنها محتضرة تعاني سكرات الموت ، و إن لم تمت حتف أنفها فستتحر و تقتل نفسها بخنجرها ، و لا غرابة فى ذلك فان كل و كر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار ، و لا يستغرب أن يرث تراثها الدينى و يدير كنائسها اليهود (٢) ، إن أساس هذه الحضارة ضعيف منهار ، و جذرائها من زجاج لا تحتمل صدمة (٣) ، ان الفكر المارد الذى أزاح الستار عن قوى الطبيعة أصبح بمجوحه يهدد وكر الغربيين و مهدهم ، إن العصر يتمخض عن عالم جديد ، و

١ - ضرب كلبيم ص ٦٩ .

٢ - ايضاً ص ١٤١ يشير الى نفوذهم الزائد وثقة أوروبا النصرانية بهم .

٣ - بال جبريل .

ان العالم القديم الذى حوله الغربيون مكان القهار (الذى كان
يقامر فيه بأمن العالم و كرامة الأمم) يلفظ نفسه ، إن نور
هذه الحضارة باهر ، و شعلة حياتها ملتهبة وهاججة ، و لكن لم يكن فى
ربوعها من يمثل دور موسى فيتاقى الالهام ، و يتشرف بالكلام ،
و لا من يمثل دور إبراهيم فيحطم الأصنام و يحول النار إلى برد
و سلام (١) ، إن عقلها الجرئى يغير على ثروة الحب و ينمو على
حساب العاطفة (٢) ، إن عماليقها و ثوارها قد طغى عليهم التقليد
فلا يخرجون - حتى فى ابتكارهم و ثورتهم - عن الطريق
المرسوم و الدائرة المحدودة ،

• لقد تضخم العلم و تقدمت الصناعة فى أوروبا ، و لكنها
بحر الظلمات ليست فيه عين الحياة ، إن أبنية مصارفها تفوق أبنية
الكنائس فى جمال البناء ، و حسن المظهر و النظافة ، إن تجارتها
قمار يربح فيه واحد و يخسر ملايين ، إن هذا العلم و الحكمة و
السياسة و الحكومة التى تتبجح به أوروبا ليست إلا مظاهر جوفاء
ليست وراءها حقيقة ، إن قادتها يمتصون دماء الشعوب و يلقون
درس المساواة الانسانية و العدالة الاجتماعية ، إن البطالة و
العرى و شرب الخمر و الفقر هى فتوح المدنية الأفرنجية ، إن
الامة التى لا نصيب لها فى التوجيه السماوى و التنزيل الإلهى غاية

١ - پیام مشرق ، ص ٢٤٨ يعنى أن أوروبا لم تكن أرض النبوة و الانبياء من
الزمن القديم و لم يكن فيها اشراق روحانى إنما ازدهرت فيها الماديات . (٢) ايضاً .

نوعها تسخير الكهرباء و البخار ، إن المدنية التي تتحكم فيها الآلات ، و تسيطر فيها الصناعة تموت فيها القلوب ، و يقتل فيها الخنان و الوفاء ، و المعاني الانسانية الكريمة (١) ، و قد كان انتقاده و استعراضه للحضارة الغربية و أسسها و مناهج تفكيرها في محاضراته العلمية التي ألقاها في مدراس و نشرت بعنوان « تجديد الفكر الديني في الاسلام (٢) » ، أعمق و أكثر تركيزاً بطبيعة الحال ، لأن جو البحوث الفلسفية غير جو الشعر و الأدب ، فقال وهو يتحدث عن طبيعة الحضارة المادية في الغرب و الانسان المعاصر الذي يمثلها و يتزعمها ، و عن الأزمات و المشكلات التي يعانها :

« الرجل العصري بماله من فلسفات نقدية ، و تخصص علمي يجد نفسه في ورطة ، فذهب الطبيعي قد جعل له سلطانا على قوى الطبيعة ، لم يسبق إليه ، لكنه قد سلبه إيمانه في مصيره هو (٣) » ، الانسان العصري و قد أعشاه نشاطه العقلي ، كف عن توجيه روجه إلى الحياة الروحانية الكاملة ، أى إلى حياة روحية تتغلغل في أعماق النفس ، و هو في حلبة الفكر في صراع صريح مع نفسه ، و هو في مضمار الحياة الاقتصادية و السياسية في

١ - بال جبريل .

2 - Reconstruction of Islamic Thought in Islam.

٣ - المصدر المذكور ترجمة عباس محمود ص ٢١٤ .

كفاح صريح مع غيره ، و هو يجد نفسه غير قادر على كبح
أثرته الجارفة ، و حبه للال حياً طاغياً ، يقتل كل ما فيه من
نضال سام شيئاً فشيئاً ، و لا يعود عليه منه إلا تعب الحياة ، و
قد استغرق في « الواقع » أى فى مصدر الحس الظاهر للعيان ،
فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده ، تلك الأعماق التى لم يسبر
غورها بعد ، و أخف الأضرار التى أعقبت فلسفته المادية ، هى
ذلك الشلل الذى اعترى نشاطه ، و الذى أدركه هكسلى (Huxley)
و أعلن سخطه عليه (١) ،

« و الاشتراكية المأجدة الحديثة - و لها كل ما للدين
الجديد من حمية و حرارة - لها نظرة أوسع أفقاً لكنها قد
استمدت أساسها الفلسفى من المتطرفين من أصحاب مذهب هيجل
(Hegel) و قد أعلنت العصييات على ذات المصدر الذى كان
يمكن أن يمدّها بالقوة و الهدف ، و هى « إذن ليست ، بقادرة
على أن تشفى عائل الانسانية (٢) » ،

و محمد إقبال يصف هذا المجتمع - الأوروبى - بمجتمع
يحرّكه تنافس و حشى و هذه الحضارة بحضارة فقدت وحدتها
الروحية بما انطوت عليه من صراع بين القيم الدينية ، و القيم
السياسية (٣) .

١ - المصدر السابق ص ٢١٥ - ٢١٦ .

٢ - أيضاً ص ٢١٦ - ٢١٧ . (٣) أيضاً ص ٢١٧ .

و ينظر محمد إقبال - ككل مطلع خبير - إلى الرأسمالية و الشيوعية ككفرعين من دوحنة المادية و أسرتين للحضارة الغربية ، إحداهما شرقية ، و الأخرى غربية ، تلتقيان على النسب المادى ، و التفكير المادى ، و النظر المحدود إلى الانسان ، و يقول بلسان السيد جمال الدين الأفغانى - فى رحلة فكرية تخيلها و اجتمع به فيها - « إن الغربيين فقدوا القيم الروحية و الحقائق الغيبية ، و ذهبوا يبحثون عن الروح فى « المعدة » ، إن الروح ليست قوتها و حياتها من الجسم و لكن الشيوعية لا شأن لها إلا « بالمعدة و البطن » ، و ديانة « ماركس » مؤسسة على مساواة البطون ، إن الأخوة الانسانية لا تقوم على وحدة الأجسام و البطون ، إنما تقوم على محبة القلوب ، و ألفة النفوس (١) ، « إن الملوكية و الشيوعية تلتقيان على الشره و النهامة ، و القلق و السامة ، و الجهل بالله و الخداع للانسانية ، الحياة عند الشيوعية « خروج » ، و عند الملوكية « خراج » ، و الانسان البائس بين هذين الحجرين قاروة زجاج ، إن الشيوعية تقضى على العلم و الدين و الفن ، و الملوكية تنزع الروح من أجسام الأحياء و تسلب القوت من أيدي العاملين والفقراء ، لقد رأيت كليهما غارقتين فى المادة ، جسمهما قوى ناضر ، و قلبهما مظلم فاجر (٢) ،

١ - جاويد نانه ، ماخوذ من « روائع اقبال » للمؤلف ، ص ١١٣ - ١١٤

٢ - أيضاً .

الحضارة الغربية

والاقتدار الاسلامية : و يعتقد محمد إقبال أن هذه الحضارة غير قادرة على إسعاد البلاد الاسلامية ، و إعادة الحياة إليها ، يقول : « إن الحضارة التي قد أشرفت على الموت لا تستطيع أن تحيي غيرها (١) ، و قد جرت من إحسان هذه البلاد الشرقية إساءة من جانبها ، و كافات خيرها بشر ، فقد منحها الشام نبياً (٢) رسالته العفة و المواساة و الرحمة ، و مقابلة الشر بالخير ، والظلم بالعفو ، و قد منحته أوربا — بدورها و مقابل كل ذلك — الخمر و القمار ، و الفجور و هجوم المؤامسات (٣) »
نقده لدعاة التجديد

في الشرق : إنه يسيئ الظن بدعاة التجديد — و بالأصح التغريب — في الأقطار الاسلامية ، و يخشى أن تكون الدعوة إلى التجديد حيلة و ستاراً لتقليد الأفرنج (٤) ، يقول : « إنني يأس من زعماء التجديد في الشرق ، فقد حضروا في نادي الشرق بأكواب فارغة ، و بضاعة مزجاة في العلم و الفكر ،
« إن البحث عن « برق جديد » في هذا السحاب عبث و إضاعة وقت ، فقد تجرد هذا السحاب الجهم عن البرق القديم ،

١ - ضرب كلبيم ص ٦٨ .

٢ - يشير إلى سيدنا عيسى عليه السلام .

٣ - ضرب كلبيم ص ١٥٠

٤ - أيضاً ص ١٧٠ .

فضلاً عن البرق الجديد (١) ،

إنه يعارض التقليد الأعمى في أمة من الأمم ، و لا سيما الأمة التي خلقت لقيادة الأمم و إحداث الثورة في العالم ، و يقول : « إن الذي يأتي بالجديد في هذا العالم الذي يتجدد دائماً هو نقطة الدائرة التي يطوف حولها الزمان ، لا تعطل شخصيتك — أيها المسلم — بالتقليد الأعمى ، و احتفظ بكرامتك فانها الجوهر الفرد ، إن التجديد (بمعنى التغريب) لا يليق إلا بأمة لا تفكر إلا في الدعوة و الترف (٢) ،

إنه يعاتب الأمم الشرقية الاسلامية التي كانت دورها دور التوجيه و القيادة ، و أصبحت تمثل دور التلهذة الخاشعة ، و التقليد الذليل ، يقول — و كأنه يشير إلى الشعب التركي الاسلامي و من كان على شاكلته — إن أولئك الذين كانوا يستطيعون أن يقودوا عصرهم أصبحوا بسخافتهم يقلدونه و يمشون ورائه (٣) ،

إيمانه بفضل الحضارة

الاسلامية و حيويتها : إنه شديد الايمان بما تضره الحضارة

الاسلامية و الشريعة الاسلامية من حيوية خالدة و قوة دافقة ،

١ - ضرب كلیم ص ٦٩ ، يشير إلى أن هؤلاء المصلحين ثقافتهم القديمة و ثقافتهم الجديدة ضعيفتان محدودتان ، ليس لهم في إحداها كعب عال و لا باع طويل

٢ - ضرب كلیم ص ١٧٠ .

٣ - بال جبريل .

و إمكانيات واسعة لتكوين عالم جديد ، و تأسيس مجتمع جديد ،
يقول في خطبته التي ألقاها رئيساً لمؤتمر الأحزاب الإسلامية في
دهلي سنة ١٩٣٣ م مخاطباً للسلمين .

« إن الدين الذي تحملون رأيه يقرر قيمة الفرد ، و يريه
تربية تجعله يبذل كل ما عنده في سبيل الله ، و في صالح عباده
إن مضمورات هذا الدين القيم و كوامنه لم تنته بعد ، إن في
استطاعته أن يوجد عالماً جديداً يجبي فيه الفقراء الأغنياء لا يقوم
فيه المجتمع البشرى على مساواة البطون ، بل يقوم على مساواة
الأرواح »

المعمل الإسلامي الجديد : و لذلك كان يعتقد — بكل إخلاص
و حماسة — أنه لابد من وجود رقعة حرة تقوم فيها عملية الحياة
الإسلامية ، بجميع نواحيها و شعبها ، و تتجلى فيها عبقرية الشريعة
الإسلامية ، و عدل النظام الإسلامي ، و تستطيع فيها الطريقة
الإسلامية في الحياة أن تعبر عن نفسها تعبيراً عملياً و ثقافياً ،
و لما كانت الهند — كما قال في خطبة رئاسته للعصبة الإسلامية
سنة ١٩٣٠ م — قطراً تسكن فيه جالية تكون أكبر مجموعة
إسلامية في بلد واحد ، كانت أحق بتقديم هذه التجربة و بتكوين
هذا المركز الإسلامي و بتعبير أدق المعمل الذي يثبت فيه الإسلام
صلاحته لتكوين المجتمع الصالح ، و تنظيم الحياة الاجتماعية ،
و حل المشكلات الاقتصادية ، و توجيه المدنية توجيهاً صالحاً ،

و التطبيق بين العقيدة و العمل و الروح و المادة ، و الفرد و الجماعة تطبيقاً يثير العجب و الإعجاب ، و يحمل قادة الأقطار الاسلامية على التقليد و يحمل المفكرين في العالم على التفكير من أسلوب جديد .

كان هذا النظر البعيد ، و هذا الطموح الذي لم يعرف نظيره في العالم الاسلامي ، أساس مملكة باكستان ، و قد تحقق هذا الحلم البعيد في سنة ١٩٤٧ م و قامت دولة باكستان ، و قد اعترف الزعيم محمد علي جناح بهذا الأساس الفكري الذي قرره محمد إقبال و تغنى به . فقال في أول خطبة خطبها بعد قيام باكستان :

« لقد أصبحت باكستان التي كلفنا في سبيلها عشر سنين كوامل حقيقة ماثورة ، و لكن يجب أن لا ننسى أن قيام مملكتنا الحرة ليست غاية ، إنما هي وسيلة ، إن الغاية و الهدف النهائي قيام مملكة نعيش فيها أحراراً ، و تتقدم بها ورق طبيعتنا الخاصة و ثقافتنا . و تنفذ فيها مبادئ العدالة الاجتماعية في الاسلام بحرية »
و لكن هذه العملية — التي لا تساويها عملية في الضخامة و الدقة و الخطورة و بعد النتائج — لا تقوم و لا تتحقق إلا على أيدي القادة الذين يؤمنون بخلود الشريعة الاسلامية و فضل الحضارة الاسلامية إيماناً لا يشوبه شك ، و يخلصون لها إخلاصاً لا يشوبه نفاق ، و يتحررون من ربة الحضارة الغربية ، و الايمان بقيمتها و أسسها ،

و من رق الثقافة الأجنبية تحرراً كاملاً ، و يجمعون — على الأقل — بين الايمان الراسخ و الشجاعة الخلقية ، و المقدرة على استخدام الوسائل و الطاقات التي أحدثتها العلوم الحديثة ، و تكييفها للمجتمع الاسلامى الحر .

العملية فى الامتحان : و لكن هذه العملية — التي قفزت إلى الوجود لأسباب تاريخية و سياسية و فاجأت العالم المعاصر — لم تجد فرصة تهيئة هذا الجيل و إعداد هذه القيادة ، و قد عجز نظام المعارف الغربى السائد فى الأقطار الشرقية ، و عجزت الجامعات الغربية التي تاقى فيها هولاء السادة ثقافتهم عن أن تنتج أحسن منهم فى عامة الأحوال ، و عن أن تنتج غير هذا الطراز من التفكير ، و غير هذا الأسلوب من الحياة ، و الشجرة لا تلام على ثمرتها الطبيعية ، و لا يرجى تغيير هذا الوضع ، و وجود القيادة التي تحقق هذه العملية حتى يغير نظام المعارف و نظام التثقيف و التربية فى هذه البلاد ، و يمنح الاسلام و المجتمع الاسلامى حق تخريج و اختيار من يتولى قيادته و يقرر مصيره مطابقاً لعقيدته و فطرته ، و آماله و حاجاته ، و هو حق طبعى لكل شعب و لكل مجتمع ، لا يجوز جموده فى أى عصر و فى أى مكان .
أهمية الدور الذى تمثله

مصر فى العالم الاسلامى : و كانت مصر — منذ عهد الخديو محمد على باشا و جلاء الفرنسيين — فى ١٧٩٩ م المجال الثالث الرئيسى

الذى ظهر فيه صراع الشرق و الغرب ، الفكرى و الثقافى و الحضارى و الاجتماعى فى أبرز مظاهره و أقواها ، فقد بذرت الحملة الفرنسية و بقاء إدارتها و قيادتها للأمر مدة (١) - قصيرة بحساب الشهور ، طويلة بحساب التأثير و النفوذ - بذوراً عميقة فى التربة المصرية ، و العقلية الاسلامية العربية ، و احتك الشرق بالغرب فى أرض مصر احتكاكا مباشراً ، و وصل - بين الشرق و الغرب - بعثات علمية و ثقافية عنى بإرسالها الخديو للاستفادة من الغرب و نظمه و علومه ، و للتقدم بمصر فى مضمار العلم و الصناعة و الفنون و الإدارة ، حملت إلى مصر ثمرات الثقافة الغربية ، ثم انشئت ترعة السويس - فى عهد إسماعيل - تصل بين البحر الأحمر و البحر الأبيض المتوسط فتحدث انقلاباً فى تاريخ السياسة و التجارة العالمية ، و ترفع الفجوة بين العالمين الغربى و الشرقى و تسهل مهمة اللقاء و الالتقاء .

و كانت مصر بخصائصها الكثيرة التى لا يشاركها فيها أحد جديرة بأن تكون متلقى يلتقى فيه ما فاقت فيه أوربا - بجهداتها و كفاحها - من العلوم التطبيقية ، و الوسائل الحديثة ، و ما خص الله به الشرق الاسلامى من علم و يقين و أسس صالحة خالدة للحياة السعيدة ، و محركات و دوافع قوية نبيلة لا تنبثق إلا من العقيدة القوية و القلب الفائض بالايمان و الحب ، و كانت

١ - و هى مدة سبعة أشهر ٢٤ يوليو ١٧٩٨ م - ١٠ فبراير ١٧٩٩ م .

مصر من أوفر البلاد نصيباً من هذه الثروة الكريمة و من أقدرها على توسيعها و توزيعها بفضل غناها في اللغة العربية و العلوم الدينية ، و وسائل الطبع و النشر ، و وجود الأزهر أكبر مركز ثقافي ديني في العالم الاسلامي ، و بفضل مرونة العقل المصري ، و قدرته القديمة على الأخذ و الإعطاء ، و التأثير و التأثير ، و كانت جديرة بأن تضرب مثلاً صالحاً للعالم الاسلامي وللأقطار الشرقية للتبادل الحر الشريف المؤسس على الشعور بالكرامة و الثقة بال شخصية ، و التمسك بال عقيدة في جانب و روح السماحة و الانصاف ، و تقدير العلم و الحكمة ، و الترحيب بالصالح النافع في جانب آخر ، التبادل الذي لا يخسر فيه الميزان ولا يطفف فيه الكيل .

الحاجة إلى قناة جديدة : لقد كان لمصر أن تنشئ قناة أفضل من قناة السويس ألف مرة ، و أعود منها على الشعوب الانسانية بالخير و السعادة ، و أعمق منها تأثيراً في اتجاه العالم و مصير الشعوب و الأمم ، و أوسع تأثيراً في التاريخ الانساني ، هي قناة التعارف الصحيح المتبادل المتوازن بين الشرق و الغرب ، قناة تصل الشرق المتخلف في العلوم الطبيعية و الصناعات المفيدة بالغرب الذي قد بلغ الذروة فيها ، و تصل الغرب الحائر المتختم بقوته المادية ، المفلس في الروح و الأخلاق ، اليائس المتشائم ، السالك في سبيل الانتحار بمنابع الرضا و الهدوء و الأمن العاطفي ،

و الثقة المتبادلة و الأمل القوي في مستقبل الانسان ، الكامنة في رسالات الشرق الدينية و الروحية التي يمثلها الاسلام في شكلها الكامل النهائي ، و تصل وسائل الغرب الهائلة الجبارة المكسدة التي لا تعرف غاية بغايات الشرق النبيلة الكريمة الرحيمة التي لا تملك وسيلة ، تصل الغرب الذي يستطيع و لا يريد ، بالشرق الذي يريد و لا يستطيع ، فيفيض كل واحد منهما على الآخر أفضل ما عنده ، و يتعاونان — تعاون الشقيقتين — في إسعاد البشرية ، و تهذيب المدنية ، هذه القناة الثقافية العقلية التي تعتبر — لو تحققت و ظهرت إلى الوجود — فتحاً جديداً في العالم ، و ماثرة تاريخية تشغل أعظم مكان مشرف في التاريخ الحديث ، و تكسب لمصر الزعامة الخالدة ، و أشرف مركز تطمح إليه القلوب و الأبصار .

لقد كانت مصر جديرة باحتلال هذا المركز الخطير ، و تمثيل هذا الدور العظيم ، لو تهيأ لها — في أول عهدها بالحضارة الغربية و الثقافة الأجنبية — إيمان قوي بخلود الرسالة الدينية التي أكرمها الله بها بالاسلام ، و شدة حاجة الانسانية إليها ، و العزم الصميم على الاخلاص لها ، و الاتصاف بصفاتها ، و التفاني في سبيلها ، و الهضم الصحيح القوي للعلوم العصرية ، و تقوية نفسها بها و إخضاعها للدور الذي يجب أن تمثله في العالم المعاصر ، و تهيأت لها شخصيات موجهة قوية .

موقف مصر التقليدي

الضعيف : و لكن الظروف و الأوضاع السياسية والتعليمية
قد صرفت مصر - زعيمة العالم العربي الاسلامي - عن تمثيل
هذا الدور العظيم ، دور القيادة و التوجيه ، و دور التأثير في
العالم الغربي ، و جعلتها تقف من العالم الغربي موقف التلميذ ،
و موقف المقلد المقتبس ، و جعلت مهمة هذه القناة الثقافية
الفكرية مقصورة على الاستيراد فقط ، استيراداً لا تتجلى فيه
شخصية مصر الاسلامية العربية و العقلية الناضجة الناقدة .

من أهم هذه الأوضاع التي اتجهت بها مصر هذا الاتجاه
الضعيف الذي أساءت به مصر إلى نفسها ، و إلى العالم العربي
الذي تولت زعامته و قيادته ، الوضع السياسي القائم الذي كانت
تعيش فيه مصر في القرن التاسع عشر ، و يشاركها فيه العالم
الاسلامي بصفة عامة ، عصر النفوذ الأجنبي و الاحتلال البريطاني
الاحتلال المباشر ، أو غير المباشر ، فقد شغل هذا الوضع
- الغير الطبيعي - تفكير قادة الفكر في العالم الاسلامي ، و
استنفد جهودهم و مواهبهم ، و لم يدع لهم مجالاً في التفكير
و لا سعة في الوقت ، و لا فضلاً في الذكاء .

السيد جمال الدين الأفغاني

و انقطاعه إلى السياسة : كان السيد جمال الدين الأفغاني ،
أنبغ عقلية و أقوى شخصية عرفت الغرب دراسة و سياحة ،

و ثقافة و سياسة ، و أقدر نوابغ الشرق على مواجهة حضارة الغرب و فلسفاته المادية و نقدها ، و صيانة الشرق من سيطرتها و سلطاتها الفكرى ، و منعه من الانجراف الذى تفقده شخصيته و رسالته ، و كتابه الصغير الذى وضعه فى الرد على الدهريين ، يدل على سعة دراسته و عمق تفكيره و قوة شخصيته ، و لم يكن الدكتور محمد إقبال مبالغاً إذ قال :

« إن جمال الدين كان انساناً له نظرة عميقة فى تاريخ الفكر الإسلامى ، و الحياة الإسلامية ، لذلك لو ركز قوته الذهنية فى خدمة الإسلام كنظام للتوجيه الإنسانى و الحياة الاعتقادية للإنسان ، لوجد العالم الإسلامى اليوم على أساس أقوى بكثير (١) ،

و لكن وضع العالم الإسلامى بصفة عامة و وضع مصر — التى قضى فيها جمال الدين أفضل أيام حياته و أكثرها إنتاجاً ، و اتخذها مركز نشاطه العقلى — و الطبيعة التى خلقه الله عليها من الذهن الوقاد و الذكاء الحاد ، و الحمية الإسلامية الشائرة ، و الأنفة الأفغانية المتهيجة ، كل ذلك منع جمال الدين عن التفكير فى غير إنقاذ البلاد الإسلامية سياسة و تنظيمها ، و إعادة الكرامة و القوة إليها ، و الربط بين أجزائها ، و إقصاء النفوذ الأجنبى عامة و النفوذ البريطانى — الذى اكتوى بناره فى بلاده و فى الهند و إيران و فى مصر — خاصة ، و طبع نشاطه و كفاحه

1 — The Modern Trends in Islam. P. 28-29.

بظابع السياسة ، و أصاب الدكتور محمد البهي إذ قال :
« (كان جمال الدين) ينتزع الأمثلة من تاريخ الشعوب
و من تاريخ الأمة الإسلامية نفسها ، كما ينتزع الشواهد المحسوسة
التي تفزع المسلمين من السياسة الاستعمارية في البلاد الإسلامية
(في الهند و مصر على الخصوص) هذه الأمثلة التي كان ينتزعها
من شواهد الحياة الإسلامية ، و مظاهرها في وقته ، مع بيان
مدى ألامعيب السلطانات الأجنبية و دسائسها ، و هدفها الذي
نهائته بسط النفوذ الأجنبي لصالح الجماعة الأوربية وهدمها على
رقعة العالم الإسلامي .

هذا الإحتكاك المباشر نفسه هو الذي أظهر حركة جمال
الدين الأفغانى فى صورة حركة سياسية ، و هو نفسه السبب فى
أن يلقى بمركز الثقل فى نشاطه على « الحرية السياسية » فى الشرق
الإسلامى ، للمواطنين جميعاً مسلمين و مسيحيين (١) ،
و خير من يحق له التعبير عن نفسية السيد جمال الدين و

تأخيص دعوته هو تلميذه الشيخ محمد عبده ، و هو يقول :
« أما مقصده السياسى الذى قد وجه إليه كل أفكاره و أخذ
على نفسه السعى إليه مدة حياته — و كل ما أصابه من البلاء
أصابه فى سبيله — فهو إنهاض دولة إسلامية من ضعفها و تنبيها
للقيام على شؤونها حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، و الدولة بالدول

١ - الفكر الإسلامى الحديث ص ٥٠

القوية ، فيعود للاسلام شأنه ، و للدين الحنيفي مجده ، و يدخل
في هذا تقايص ظل بريطانيا في الأقطار الشرقية (١) ،
فضل حركة السيد

جمال الدين و مدرسته : لم تكن هذه الغاية الجسيمة و الأوضاع
السياسية الجاثمة على الشرق لتدع لمثل السيد جمال الدين الأفغانى
— فى قوة عاطفته و حساسيته — حقلاً آخر للنشاط و الانتاج ،
و تدع يعمل عملاً ايجابياً بناءً فى المجتمع الاسلامى ، و يقوم
بدراسة عميقة تحليلية للحضارة الغربية ، و ما يحسن اقتباسه منها
و ما لا يحسن ، و بناءً ففكر اسلامى جديد يسائر الزمان و يتغاب
على نزعة تقليد الغرب .

و لكن دوره عظيم جداً فى رفع قيمة الدين و التمسك
بالاسلام ، و الاعتماد على القرآن فى عيون النشء الجديد ، و فى
إعادة الثقة بصلاحيّة الاسلام لكل زمان و مكان ، إلى نفوس
الشباب المثقف ، يستحق به أن يعتبر أبا الجيل الاسلامى الجديد ،
و عظمته فى أنه حال بين الطبقة المثقفة الذكية فى مصر و غيرها ،
و بين الالحاد و الثورة على الدين ، و آخر أو بقاء سير النزعة
العلمانية تغزو عقول المثقفين ، و تكون الأساس الفكرى و
الميثاق القومى للحكومات الاسلامية ، آخرها مدة نصف قرن ،
و هى مدة لا يستهان بها فى سير الحوادث و تيارها الجارف ، و

١ - زعماء الإصلاح فى العصر الحديث للدكتور أحمد امين ص ١٠٦

لولا هو و تلميذه النابغة - الشيخ محمد عبده - اللذان أصبح
حبيهما و الانتصار لهما شعار المثقفين الأحرار في الشرق الأوسط،
لكان الإلحاد و التبرؤ من الدين أسرع و أوسع في هذه الطبقة
التي لم تخضع قط فكرياً لعلماء الدين على النمط القديم ، و قد
صدق المستشرق الألماني الكبير كارل بروكلمان إذ قال :
« مهما يكن من أمر فقد كان الإسلام - و لا يزال -
هو المهيمن على الحياة الدينية في مصر ، و إنما يرجع الفضل
في ذلك - في المحل الأول - إلى تأثير جمال الدين الأفغانى (١) ،
حركة « الإخوان » ،

و الخسارة بفقدانها : و لكن الحاجة إلى مواجهة حضارة الغرب
وجهاً لوجه ، و نقدها النقد الجريئ الأصيل ، و الظهور أمام
الغرب في مظهر الداعى المهاجم كان يطلب دراسة أعمق ، و جهوداً
أكثر ترابطاً و أكثر تركيزاً ، و معرفة بطبيعة الحضارة الغربية و
تركيبها أدق ، و حماسة في الدعوة إلى الإسلام و نظمه و مناهجه أشد ،
و تطلب موقفاً غير موقف الزعيم السياسى الذى وقفه جمال الدين ،
و موقف المحامى المدافع عن الشريعة الإسلامية الذى وقفه الشيخ
محمد عبده ، على إخلاصهما و عظمة شخصيتهما ، و ضخامة الفائدة
التي حصلت على أيديهما و أيدي تلاميذهما الفضلاء .

و قد كان في حركة « الإخوان المسلمون » كبرى حركات

١ - جمال الدين الأفغانى الاستاذ محمود أبورية ص ١٢ .

الشرق الأوسط الدينية و السياسية ، لو قدر لها أن تسير سيرها الطبيعي و تؤثر تأثيرها المطلوب و التف حولها الباحثون النوابغ و المفكرون الاسلاميون و رجال الاختصاص الفنى ، و الدراسات الواسعة العميقة التي قد بدت طلائعها (١) أمل في أن يتم مابدأه السيد جمال الدين الأفغانى و محمد عبده من عمل تحرير الفكر الاسلامى الشرقى من جمود القديم و من تقليد الغرب السخيف ، و تملأ الفراغ الفكرى فى الشرق و تنجح فى تأسيس المجتمع الاسلامى القوى المستقل فى شخصيته و فى تفكيره و فى وطنه ، و لكن طغيان الجانب السياسى العملى على رجال هذه الدعوة فى جهة و محاربة القوات المتجهة إلى « العلمانية » و المادية لها فى جهة أخرى قد حرمت العالم العربى - و العالم الاسلامى بدوره - ثمرات هذه الحركة الواسعة القوية التى كانت أقوى انتفاضة دينية و ثورة إسلامية فى العصر الحاضر ، و كان ذلك رزاً و خسارة للعالم الاسلامى لا تعوض .

المتخرجون فى أوربا طلائع الفكر الغربى فى العالم العربى : بدأ صفوة الأذكياء و خيرة الشباب يدرسون العلوم العصرية فى مصر ثم يؤمون عواصم الغرب و مراكز الثقافة العصرية الكبرى فى أوربا للتوسع فى الدراسات

٢ - فى كتاب الاستاذ الشهيد عبد القادر عودة و سيد قطب و محمد الغزالي و سعيد رمضان و أضرابهم .

و التعمق فيها ، و يخوضون هناك في لجة الحضارة الغربية و في الأوساط العلية التي اعتادت البحث العميق الدقيق ، و اعتادت الحرية الفكرية و الشجاعة الأدبية و عافت التقليد و الأخذ بشئى على عواهنه ، فكان من المتوقع و من المعقول جداً أن يوجد في هؤلاء الشباب الشرقيين الذين نشأوا في مصر البلد الاسلامى و قرأوا القرآن - معجزة كل عصر - رجال يروعهم ضعف أساس الحضارة الغربية و الفكرة الغربية و إسرافها في المادية ، و تطرفها في القومية و النظر المادى القاصر المحدود إلى الانسان ، و كل ما أنتجه و قام به من مظاهر العقل و الروح و البطولة ، و يثير ذلك فيهم النخوة الاسلامية و المعانى الانسانية الكريمة العميقة و يثير فيهم روح الاستنكار و التمرد على مثل الحضارة الزائفة ، و يكون فيهم مفكر حر مثل محمد إقبال و ثائرو داعية مثل محمد على (١) و كانوا أولى بذلك من هذين فقد نشأ

١ - هو الزعيم الهندى المشهور محمد على بن عبد العلى ، ولد في إمارة رام پور (في المقاطعة الشمالية الغربية) سنة ١٨٧٨ م و نشأيتها في حضانة أمه القوية النفس و الهمة ، و التحق بمدرسة بريلى الثانوية ، ثم انتقل إلى كلية عليكره الاسلامية ، و تخرج فيها في سنة ١٨٩٦ م ، و سافر إلى انجلترا و انتسب إلى جامعة أوكسفورد حيث نال شهادة في الليسانس (B. A.) بامتياز و فاق في الأدب الانجليزى ، و احتوى على ثروته الأدبية و أساليب اللغة الانجليزية المتنوعة كابناء البلاد ، و أصحاب اللغة ، و رجع إلى الهند و شغل وظيفة كبيرة في إمارة بروده ، و مكث فيها سبعة أعوام ، ثم استقال منها و أصدر من كالكوتا سنة ١٩١١ صحيفة (Comrade) الأسبوعية الانجليزية التي نالت إعجاب الانجليز و ادبائهم و حكمهم بأسلوبها الأدبى الرصين و الفكاهة الحلوة -

الإثبات في بيئة بعيدة عن مهد الإسلام و مركز الثقافة الإسلامية ، و جرى في عروقها دم غير عربي و غير إسلامي (١) ، و لكن هذا الأمل لم يتحقق إلا في نادر الأحوال ، و رجع أكثر هؤلاء الشباب المسلمين طليعة الفكر الغربي ، و دعاة

و انتقلت بعد ذلك إلى دهلي ، و أصدر منها صحيفة يومية اردوية سماها (همدرد) و نالت المكانة الرفيعة و القبول العام لصدق لهجتها ، و كتب مقالة مستفيضة في كرميد طويلة بعنوان (Choice of the Turks) و إختيار الأتراك ، إنتقد فيها سياسة الحلفاء و الانجليز بصفة خاصة ، تدبر من أقوى المقالات التي كتبت في الهند ، أثارت غضب الحكومة الانجليزية فاعتقلته سنة ١٩١٤ و بقي مدة الحرب العالمية ١٩١٤ - ١٩١٨ حفظ فيها القرآن و درس الإسلام دراسة عميقة و أطلق في آخر سنة ١٩١٩ م و أسس الجامعة المليية الإسلامية في سنة ١٩٢٠م و اعتقل مرة ثانية بتهمة إثارة الجيش ضد الحكومة و حكم عليه في كراتشي بسجن عامين و أطلق في آخر سنة ١٩٢٢ و رأس حفلة المؤتمر الوطني العام (Indian National Congress) في كوكنادا في جنوب الهند سنة ١٩٢٣ ، و اعتزل المؤتمر سنة ١٩٢٩م و حضر مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣٠م و خطب فيها خطبة عظيمة ، و مات في يوم ٤ من يناير سنة ١٩٣١ ، و نقل جثمانه إلى القدس حيث دفن في المسجد الأقصى في احتفال عظيم و جنازة مشيعة تشييعاً عظيماً ، و رثاه كبار السياميين في الأقطار الإسلامية و الهند ، و اترفوا بعصاهيته و عبقريته الأدبية ، و شجاعته السياسية و حميته الإسلامية ، و من الأقوال الماثورة للمؤرخ الانجليزي الشهير (H. G. Wells) إن محمد علي جمع بين قلب نابليون ، و قلم ميكالي ، و لسان برك .

١ - كان محمد علي من سلالة هندية في شمال الهند الغربي ، و محمد إقبال أشار إلى أصله الهندي البرهمي كثيراً ، فيقول في بيت يعاتب فيه شاباً ينتمى إلى أهل البيت قد تأثر بالفلسفة تأثيراً عميقاً و مال إلى الإلحاد ، أنت تنتمى إلى سيد بني هاشم في نسلك ، أما أنا - المؤمن بالإسلام و بمحمد صلى الله عليه وسلم إيماناً لا يعتريه شك - فان طينتي هندية ، و انا انتمى في نسبي إلى سومنات - معبد الوثنيين القديم - و كان أبائي من عباد اللات و مناة ، (ضرب كلهم)

متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية و قيمها و مفاهيمها و
تصوراتها .

صدي أفكار

المستشرقين في مصر : بل رجح كثير منهم متشبعين بروح الغرب

يتنفسون برثة الغرب ، و يفكرون بعقله ، و يرددون — في بلدهم —

صدي أساتذتهم المستشرقين ، و ينشرون أفكارهم و نظرياتهم في

إيمان عميق ، و حماسة زائدة ، فلا يقرأ انسان لعالم مستشرق في

الغرب بحشاً و لا يعرف له نظرية إلا و يجد أديباً أو مؤلفاً في

مصر يتبنى هذه النظرية بكل إخلاص و يشرحها و يدعو إليها

في كل لباقة و بلاغة ، مثل بشرية القرآن ، و فصل الدين عن

السياسة ، و أن الاسلام دين لا دولة ، و الدعوة إلى العلمانية ،

و الشك في مصادر العربية الأولى ، و الشك في قيمة الحديث

العلية و انكار مكانته و حجيته و مكانة السنة في الاسلام ، و

الدعوة إلى تحرير المرأة و مساواتها بالرجل و إلى السفور ، و كون

الفقه الاسلامي مقتبساً من القانون الروماني ، و متأثراً به في روحه

و سبكه ، و الدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الاسلام ،

و تمجيد العصر الفرعوني ، و التغنى بحضارته و أدبه و أمجاده ،

و الدعوة إلى العامية و التأليف فيها ، و اقتباس الحروف اللاتينية

و التقنين المدني العربي على أساس القانون المدني الغربي ، و الدعوة

إلى القومية العربية و الاشتراكية المادية — و الشيوعية الماركسية

أحياناً — في العصر الأخير ، ترى ظلال الفكر الغربي بل التعبير الغربي وارفة ممدودة على العقول العربية و الأقاليم العربية مسيطرة عليها كسيطرة الأشجار الكبيرة على الحشائش الصغيرة ، منعكسة فيها . انعكاس الشمس في المرآة الوضیة ، و قد شهد بتغلغل الأفكار الغربية في المجتمعات و الدول الإسلامية عالم مستشرق عرف الشرق الإسلامي ، و عرف تياراته الفكرية معرفة دقيقة ، يقول هـ ، أ ، ر ، جب في كتابه « إلى أين يتجه الإسلام » ؟ :

« و إذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للنفوذ الغربي ، ولمدى تغلغل الثقافة الغربية في الإسلام كان علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية ، ... علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة و الحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثير بالأساليب الغربية بعد أن تهضم و تصبح جزءاً حقيقياً من كيان الدولة الإسلامية ، فتنخذ شكلاً يلائم ظروفها (١) »
اتجاه حركة التأليف والترجمة

إلى الأدب و الاجتماع : و كان هؤلاء الأدباء و الكتاب قد

أسدوا معروفًا كبيراً ، و أحسنوا إلى مجتمعهم و بلادهم و لغتهم لو نقلوا الكتب من اللغات الغربية المؤلفات في أغراض العلوم التجريبية المادية بكل فروعها الكيميائية و الطبيعية و الميكانيكية

1 - Wither Islam P. 328 - 329

الترجمة مأخوذة من رسالة « في فكر الهدامين ، للدكتور محمد محمد حسين .

النظرية و التطبيقية ، التي لا تزال المكتبة العربية فقيرة فيها كما فعل الأدباء في اليابان فحولوها إلى بلاد صناعية تضارع أعظم الدول و الأقطار الأوربية في العلوم الطبيعية و الصناعية ، و كما فعلت دار الترجمة في حيدر آباد ، ولكن انصرفت عنايتهم و هو ايتهم إلى ترجمة كتب الآداب و علم الاجتماع و الفلسفة و التاريخ ، و الروايات و القصص ، و ترجمة كتب كثير من دعاة الالحاد و الثورة و الاضطراب الفكرى فى المجتمع الغربى ، التي ساعدت فى انتشار التبليغ الفكرى و الاضطراب الاجتماعى ، و ضعف شخصية الفكر العربى و الأدب العربى ، و أحدثت اصطراع الأفكار و المثل و مناهج الفكر .

و قد وجد لهذا الاتجاه الأدبى كتاب و أدباء فى مصر لهم قيمتهم الأدبية و إنتاج أدبى كبير ، و لكن لم يظهر فى مصر و لا فى الشرق العربى نوابغ و عبقرىون فى العلوم العملية و فى مجالات الطبيعة و الكيمياء ، و علم الآلات و العلوم الرياضية ، يعترف العالم الغربى بتفوقهم فى هذه العلوم ، و بقيمة بحوثهم و إنتاجهم العلمى ، و ينالون إعجاب الأوساط العلمية الكبيرة و تقديرها .

صورة من الحياة الغربية : و وجد فى مصر كتاب و أدباء دعوا

دعوة سافرة إلى تقليد الحضارة الغربية ، و اتخاذها مثلاً أعلى فى الحضارة و الاجتماع ، و كانت مصر — لبقائها تحت الاحتلال الغربى مدة طويلة ، و بحكم قربها من أوروبا و بفقدان الدعوات

الدينية التجديدية المؤسسة على النقد العلمى - تزداد انصباحاً بالحضارة الغربية كل يوم ، و تتجه إلى الغرب اتجاهاً مستمراً ، حتى كادت تصبح فى الطبقة المثقفة و الارستقراطية صورة من الحياة الغربية ، و استطاع الدكتور طه حسين فى سنة ١٩٣٨م أن يصور بلده تصويراً غريباً ، و يقول فى كتابه المشهور « مستقبل الثقافة فى مصر » :

« حياتنا المادية أوربية خالصة فى الطبقات الراقية ، و هى فى الطبقات الأخرى تختلف قرباً و بعداً بين الحياة الأوربية باختلاف قدرة الأفراد و الجماعات و حظوتهم من الثروة وسعة ذات اليد ، و معنى هذا أن المثل الأعلى للمصرى فى حياته المادية إنما هو المثل الأعلى للأوربى فى حياته المادية (١) ،

« و حياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها و ألوانها أوربية خالصة ، نظام الحكم عندنا أوربى خالص ، نقلناه عن الأوربيين نقلاً فى غير تخرج و لا تردد ، و إذا عينا أنفسنا بشئ من هذه الناحية فأنما نعيبها بالإبطاء فى نقل ما عند الأوربيين من نظم الحكم و أشكال الحياة السياسية (٢) ،

« و التعليم عندنا على أى نحو قد أقننا صروحه ، و وضعنا مناهجه و برامجها منذ القرن الماضى ؟ على النحو الأوربى الخالص ، ما فى ذلك شك و لا نزاع ، نحن نكون أبناءنا فى مدارسنا

٢ - أيضاً ص ٢٢

١ - مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣١

الأولية و الثانوية و العالية تكوينا أوريا لا تشوبه شائبة (١) ،
و يستخلص من هذا كله النتيجة الآتية ،

« كل هذا يدل على أننا في هذا العصر الحديث نريد أن
نتصل بأوربا إتصالا يزداد قوة من يوم إلى يوم حتى نصبح جزءاً
منها لفظاً و معنى و حقيقة و شكلاً (٢) ،

دعوة طه حسين مصر إلى اعتبار

نفسها جزءاً من الغرب : لقد كان من المتوقع ومن المعقول

جداً أن مثل الدكتور طه حسين صاحب الشخصية القوية في
الأدب و العلم ، الذي حفظ القرآن في الصغر ، و درسه في الكبر
و تعلم في الأزهر ، و نظر في العلوم والآداب نظرة حرة واسعة ،
و رأى شقاء أوربا بحضارتها المادية و فاسفاتها الإلحادية ، و
حكوماتها القومية ، و تدمر مفكرتها و العلماء الأحرار فيها ، و
درس تاريخ العرب و السيرة المحمدية دراسة تذوق و إتقان ،
لقد كان من المتوقع والمعقول جداً ، أن يدعو مصر إلى الاستقلال
الفكري و الحضاري ، و تربية شخصيتها الإسلامية العربية ، و
النهوض برسالتها العظيمة التي تستطيع أن تحدث انقلاباً في الأوضاع
العالمية ، و تمنح مصر مركز الزعامة و القيادة و التوجيه حتى و
لو كانت مصر جزءاً من العالم الغربي ، و قطعة من أوربا ،
فالرسالات السماوية الانسانية أسمى و أوسع و أبقي من الحضارات ،

٢ - أيضاً ص ٣٤

١ - أيضاً ص ٣٦

و هي غنية عن الحدود الجغرافية ، و الأدوار التاريخية ، و إذا فعل ذلك ، و قام بهذ الدعوة كان رائد النهضة الفكرية الحقيقية ، و الثورة المصرية المباركة ، و اتفق ذلك مع مواهبه العظيمة كل الاتفاق .

و لكن كان من نتائج تغلغل الثقافة الغربية في الطبقة المثقفة في العالم الاسلامى و سيطرتها على التفكير و المشاعر ، ضعف المجتمع الاسلامى الذى نشأ و عاش فيه طه حسين إنه قام يدعو مصر إلى اعتبار نفسها جزءاً من الغرب ، و يجند كل ذكائه و إنشائه و دراسته التاريخية لإثبات أن العقاية المصرية عقلية أوربية أو قريبة قريباً شديداً من الأوربية ، و لها اتصال وثيق بالعقلية اليونانية ، و بعيدة كل البعد عن العقلية الشرقية ، و هى منذ قديم الزمان ، منذ العهد الفرعونى لم تتأثر بالطارشى عليها فى أى عصر ، فلم تتغير بالفرس ، و لا بالرومان و لا بالعرب و الاسلام ، « إن العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشئ فأنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط ، و إن تبادل المنافع على اختلافها فأنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط (١) ، و يقول : « إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق ، و اعتبار العقاية المصرية عقلية شرقية كعقاية الهند و الصين (٢) » .

و على هذا الأساس يدعو الدكتور طه حسين المصريين

إلى اختيار الحضارة الغربية حضارة لهم ومشاركة الغربيين - أعضاء
الأسرة العقلية الواحدة - في جميع مناهجهم و مقاييسهم و أذواقهم
و أحكامهم فيقول :

«... أن نسير سيرة الأوربيين و نساك طريقهم لنكون
لهم أنداداً و لنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها و شرها ،
حلوها و مرها ، و ما يجب منها و ما يكره و ما يحمده
منها و ما يعاب (١) ،

« و أن نشعر الأوربي بأننا نرى الأشياء كما يراها ، و
نقوم الأشياء كما يقومها ، و نحكم على الأشياء كما يحكم عليها (٢) ،
مستوى فكري نازل : إن هذا المستوى الفكري ، مستوى
التقليد و التطبيق و التشبه و الانسجام بالغرب ، و إن قياس
التبعات و الواجبات و الرسائل بمقياس الجغرافية و التاريخ و
طبائع الأمم و عقلياتها في ضوء التاريخ القديم ، مستوى كسنتوقع
من عالم مصرى و أديب مفكر مثل الدكتور طه حسين أن
يرفع عليه ، و قد ترفع على ذلك بعض القادة الشرقيين في أقطار
غير إسلامية فصاروا يلهجون بالجامعة الانسانية والنظرة الآفاقية ،
و المثل الخلقية و الروحية التي هي فوق الحدود و الشغور و فوق
المناطق الحضارية و الثقافية في العالم القديم أو الجديد ، و يكفرون
بالروابط التي توزع الأسرة الانسانية المؤحدة بين الأوطان و

٢ - أيضاً ص ٤٤

١ - أيضاً ص ٤١

الأجناس و المناطق الحضارية و بين العالم الغربي و العالم الشرقي ،
و كان المسلم العربي أحق بهذه الفكرة الواسعة و أحق بأن
يتزعم هذه الدعوة و يقودها فانه نشأ في ظل « شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية و لا غربية ،

الطبعة الجديدة العربية

للحركة الكمالية التركية : لم تزل الثقافة الأجنبية — في داخل
البلاد و خارجها ، و لم تزل الدعوة إلى « التغريب ، و الفلسفات
الغربية المادية التي ترد إلى البلاد من الخارج ، و يتطوع لنشرها
و شرحها كبار الأدباء و الكتاب في البلد ، تعمل عملها
الطبيعي في أذهان الناس و تلتهمها الطبقة الجامعية المثقفة و الشباب
الناشئ و الضباط في الجيش ، و كل ذكي و ثائر على الأوضاع
الفاسدة السائدة التي لا تطاق ، و تظهر في هذه الأغراض كتب
و مؤلفات يقرؤها الشبان عند المراهقة الفكرية فيسيغونها و
تصبح جزءاً من فكرتهم و عقيدتهم و مطالعهم في الحياة ، و
ينظرون إلى هذه الفلسفات كاطريق الوحيد للنهضة بالبلاد و مجارة
الدول و الأقطار الحرة الراقية ، و تعجز المعارف و وسائل
التربية و التوجيه و الأدب المقبول عن أن يخلق في هؤلاء تفكيراً
أسمى و طموحاً أبعد من هذه الخطط التقليدية المرسومة المرددة في
كل بلد ، و التي سبق إليها كمال أتاتورك ، و تحققت له الزعامة
في حركة التغريب ، و تطوير البلاد و المجتمع و العقلية من الأساس

الاسلامى الايمانى الى الاساس الغربى المادى ، فيحاولون تقايدھا و تطبيقھا فى بلادھم باختلاف نوع القومية (١) ، و باضافة الاشتراكية التى لم تبلغ فى مصر كمال اتاتورك هذا الطور الواضح المتميز القوى ، و لم تكسب هذه السيطرة ، و هذا السحر على العقول و الافكار ، و لم يبق لهذه الطبقة إلا أن تتولى القيادة و تجد فرصة لتطبيق مخططها الفكرى .

جاءت ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ م و نجحت بطبيعة الحال و رحب بها كل ساخط على الأوضاع الفاسدة و كل محب للبلاد و للنهضة و القوة و الاستقلال ، و عقد بها الناس — على اختلاف طبقاتهم و وجهات نظرهم — آمالا كثيرة مختلفة ، و كانت فى إمكانها و استطاعتها أن تعيد إلى مصر مكان الصدارة فى العالم العربى ، الزعيم للاسلام و مكان التوجيه و الثقة و الاحترام فى العالم الاسلامى ، و أن تشق طريقها إلى الأمام ، و أن تنهج لها نهجاً فى الحياة يوافق طبيعة الشعب المصرى المسلم القوى فى إيمانه و فى عاطفته الدينية ، و طبيعة العالم العربى الذى أبى الله أن ينهض و يتحد و يسود إلا بهذا الدين الذى اختاره لزعامته و قيادته ، و يوافق طبيعة العالم الاسلامى الذى لا ينشط و لا يتحمس و لا يرتبط إلا بدعوة دينية ، و يوافق طبيعة العصر الذى ضاق بالقوميات و تخطى — فى سيره الحثيث — العصبيات التى تقوم

١ - القومية العربية بدل القومية التركية .

على أساس العنصرية أو اللغة أو اللون أو الوطن ، و صار ينظر إلى هذه الروابط و الجامعات كدعوات رجعية جاهلية تمزق الأسرة الانسانية و الوحدة البشرية ، و ينتظر من شعب عربي قيادة أوسع نظراً و أكثر « تقدمية » من القوميات ، و كل ينتظر من قادة هذه الثورة الموقفة عقايبه أوسع ، و صدراً أرحب ، و ذكاءً أكثر عمقاً ، و تخطيطاً أكثر أصالة ، و مطابقة للواقع .

محاولة تطوير المجتمع

المصري والعربي كلياً : و لكن تحقق سريعاً أن هذه الثورة ليست إلا « الطبعة العربية الجديدة » (مزيدة منقحة) بحركة التغريب والتطوير التي تزعمها كمال في تركيا ، و أنها فكرة مستقلة ، و فلسفة قائمة بذاتها ، و خطة كاملة مصممة تصميمياً دقيقاً لتطوير المجتمع المصري — وبواسطته و عن طريقه — المجتمع العربي تطويراً قومياً مادياً اشتراكياً ، حتى تصبح مجتمعاتاً جديداً ، « يستخلص لنفسه علاقات اجتماعية جديدة تقوم عليها قيم أخلاقية جديدة و تعبر عنها ثقافة وطنية جديدة (١) ، و ينظر إلى الحرية ، و الاشتراكية ، و الوحدة (٢) ، كأسس الحياة و أهداف النضال و يبحث عن جذور النضال المصري « في التاريخ الفرعوني صانع

١ - نفس التعبير الذي جاء في النص الرسمي لميثاق العمل الوطني الذي قدمه الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في يوم ٣١ مايو ١٩٦٢م أنظر الباب الأول نظرة عامة .
٢ - أيضاً

الحضارة المصرية و الانسانية الأولى (١) ، و يحدد نضاله للأمة العربية التي تقوم على وحدة اللغة التي تصنع وحدة الفكرة و العقل و وحدة التاريخ التي تصنع وحدة الضمير و الوجدان ، و وحدة الأمل التي تصنع وحدة المستقبل والمصير (٢) ، أما الدين الاسلامى - الذى هو دين العرب إلا من شذ منهم - فينظر إليه كأي دين من الأديان الكثيرة التي تدين بها أمة أو بلاد ، و يضمها جمعياً في صعيد واحد ، و مستوى واحد ، و يسمح لها بالبقاء و يعترف بها - جمعياً - بالشرف و التأثير ، إن حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها في حياتنا الجديدة الحرة ، إن القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان و على إضاءة حياته بنور الايمان و على منحها طاقات لا حدود لها من أجل الخير و الحق و المحبة (٣) ، و يتكلم عن هذه الأديان كأي اشتراكى مادى لا ينظر إلا إلى قيمة الأديان المادية و الثورية و دورها في التاريخ الانسانى ، و لا يؤمن بالآخرة و الحقائق الغيبية ، و إلى قيمة العقيدة الدينية و الثواب الأخرى ، إن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات انسانية ، استهدفت شرف الانسان و سعادته ، و إن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر

١ - الميثاق القومى الباب الثالث .

٢ - أيضاً ، الباب السابع .

٣ - أيضاً الباب التاسع .

رسالته (١) « و ينظر إلى المجتمع و أعضائه و حقوقهم نظرة لا تقيد بالتشريعات الاسلاميية و الحدود التي بينها الله تعالى للانسان ، و إنما تقوم على أسس المجتمع الغربي و التفكير العصري ، فالمرأة في نظره « تتساوى بالرجل و لا بد أن تسقط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمل و ايجابية في صنع الحياة (٢) »

و بصرف النظر عن هذه التفاصيل والشواهد فإنه مما لا شك فيه أن الفكرة التي تسيطر على هذا الميثاق و واضعه ، و التي دفعت إلى سبكه في هذا القالب هي الفكرة المادية ، و للانسان أن يسحب من نص الميثاق كلمة العرب و مصر التي تتردد كثيراً و ما يدل على البيئة التي صدر فيها هذا الميثاق ، و ينسبه إلى أي جمهورية علمانية اشتراكية في الشرق ، و كلها تعترف بحرية العقيدة الدينية و قداستها ، و بتأثير القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان في تاريخ الانسان و المدنية .

و قد اتخذ قادة الثورة خطوات حاسمة ايجابية لتطوير المجتمع المصري و تطوير العقلية المصرية — كرحلة إلى تطوير العقلية العربية — فشجعوا على الإشادة بالقومية العربية كديانة و عقيدة ، و جعلوا الأدباء و الكتاب يتغنون بها ، كهدف الأسمى ، و يتغنون بأمجاد العهد الفرعوني ، و الدعوة إلى إحيائها ، و الفرعونية

كقومية و حضارة و تراث ، و هتف الهاتفون ، نحن أبناء العرب
و الفراغنة ، و لم تعد كلمة « فرعون » تثير في النفوس الكراهية
و الاحتقار ، و معانى اللعنة و العار ، التي ألحقها به القرآن ،
و آمن بها المؤمنون في كل مكان و زمان ، و أصبح العرب
و العروبة تشارك الله في العزة و الكرامة ، فيقول الغائلون
« العزة لله و للعرب » و يرحبون بكل من يغلو في ذلك و يبالح
و لو وصل إلى درجة الكفر ، و خرج من الإسلام ، و يشجعون
على ذلك بالجوائز و الصلات و أنواع التحييد و أساليب التحسين ،
و أرخوا العنان للكتاب و الصحفيين يسترسلون في ذلك ماشاؤا .
و سمحوا للصحف أن تستهزئ بالدين و شعائره و مقدساته و
تتهك الحرمات و تنشر في المجتمع الخلاعة و الاستهتار و الميوعة ،
و لم يزدها التأميم إلا خبالا و إسرافا في نشر الصور العارية
الخليعة ، و الروايات الماجنة و القصص الغرامية ، و أخبار
الحوادث المثيرة للغريزة الجنسية و الإجرام ، حتى يتطور المجتمع
و تتطور العقلية و تأخذ لونها المادي ، و طابعها الاشتراكي .
و اتخذوا لتطوير المجتمع خطوات ايجابية أخرى ، من تطوير
الأزهر ، و إلغاء المحاكم الشرعية ، و القضاء الشرعي ، و الوقف الشرعي
و من التعليم المختلط و العناية الزائدة بالبرامج الثقافية ، و الرقص و الغناء .
...و تأثير الثورة المصرية

و قيادتها في العالم العربي : و أصبح الشباب العرب ، و كل ذى

طموح من تمنى مجد العرب و تمنى لهم كيانا و دولة قوية موحدة
تقوم في الشرق الأوسط يتخذ « الجمهورية العربية المتحدة » مثلا
أعلى و يدين بحبها و يعتبرها انتفاضة الروح العربية تعيد إلى العرب
كراماتهم ، و مجدد هم الغابر و سيادتهم المسلوبة ، و لا غرابة في
ذلك ، و لا ما يستحق اللوم والعدل ، فالإنسان مفطور على حب
المجد و الغلبة و القوة ، و للشباب العرب كل حق في أن يشدوا
المجد ، و يريدوا القوة ، و يعضوا على الوحدة بالنواجذ ، و
لكن — مع الأسف الشديد — قد اقترنت بالثورة المصرية وفلسفتها
في العهد الأخير معاني و حوادث و تصرفات ، و توجيهات
تضعف قيمة الاسلام و تقطع رابطة هولا العرب و قادتها عن
إخوانهم في العالم الاسلامي ، و تنشئ فيهم المبالغة في تقديس
القومية العربية ، و التعصب لها ، و الايمان بها كفكرة كاملة
و ديانة لها مفهومها العقائدي ، و قد بدأ الاحاد ينتشر بسرعة
غريبة في الشباب المثقف في العواصم العربية و تبدر من المتحمسين
منهم كلمات يخاف منها على صاحبها الكفر و المروق من الدين ،
و أصبحوا لا ينظرون إلى الرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم —
كنقذ للعرب ، و مصدر الحياة الجديدة و الكرامة و الشرف
و الخلود لهذا الشعب العظيم ، و يرجعون إلى الماضي السحيق
و يحيون أمجاده و حضارته ، و يغضبون للجاهلية إذا ذمت و
تأخذهم حمية الجاهلية .

طليعة ردة فكرية : إنا نذير شر خطير ، و طليعة ردة فكرية
و ثقافية و دينية لا يتداركها و لا يجبر كسرها أعظم مجد ، و
أقوى دولة ، و أكبر نهضة ، و أهول قوة ، إنها خسارة
ليست فوقها خسارة ، إنها طريق إلى الخزي و العار ، و التشتت
و الفرقة ، و الهزيمة و الإخفاق بعد الإخفاق ، و الخيبة إثر
الخيبة في الدنيا ، و لعذاب الآخرة أخزى لو كانوا يعلمون ، و
يصدق عليهم قوله تعالى ، « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا
أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه ، فحبطت أعمالهم فلا نقيم
لهم يوم القيامة و زنا (١) ،

الأقطار الاسلامية المتحررة

حديثاً في طريق « التغريب » : و أخاف أن تكون هذه قصة
القادة المتجددين الثوريين ، و قصة كثير من الأقطار الشرقية
التي تحررت و نالت استقلالها في مدة قريبة ، يظهر أن زعماءها
و ولاة الأمور فيها قد صمروا على تطبيق الفلسفة الفكرية الغربية
— بشعبها الاقتصادية و السياسية و الثقافية — و فلسفة القومية
المادية في بلدهم الاسلامي ، فهم في حرب دائمة دامية مع الطبيعة
الاسلامية العميقة الجذور الممتدة العروق ، و في صراع مع الجهاز
الاجتماعي والعلمي و الخلق ، الذي فيه الخير الكثير والقوة التي

ترهب ، و يحسد ، لها الحساب ، و يمكن أن نسي و استغل لصالح
الامة و البلاد ، و في صراع مع المنويات التي نادت و رحبت
في نفوس أفراد هذه الامة و أجيالها ، بجهود جبارة و دماء زكية
تفنية ، و إخلاص ليس له نظير ، و على حساب الايمان — بالله
و بالرسول و بالضيف — الذي لا يصنع في المصانع ، و لا يولد
بالمخطب الرنانة ، و لا يخلقه إلا تأثير الرسل و شخصيتهم النبوية ،
و جهود الدعاة المخلصين من الطراز الأول ، و الذي إذا فقد من
الامة لا يعود بسهولة ، و لا يملأ فراغه شعور قومي ، أو وعي
سياسي أو تقدم في المعرفة و الثقافة ، و الذي صنع المعجزات في
القديم ، و خلق بأن يصنعها في كل وقت ، و على حساب العاطفة
الدينية التي يرجع إليها الفضل في الفتوح و الانتصارات القومية
و السياسية ، و تجلت قوتها في معركة القناة ، و تحرير الجزائر ،
و تكوين دولة على أساس الاسلام و القومية الاسلامية في شبه
قارة الهند (١) لا يحلم بها في عصر السياسة الوطنية والعلمانية .

عملية هدم و إزالة أنقاض : و هكذا تغرز شجرة الحضارة الغربية

و الفلسفة الغربية التي ساهم في نشأتها و سموها مناخ خاص ، و
سقى خاص ، و غذاء خاص ، و قد توفرت هذه العوامل كلها
في الأراضي الأوربية ، تنقل هذه الشجرة — بعد ما كبرت و
ترعرت — إلى الأرض الاسلامية فتغرز فيها و تنصب بقوة ،

١ - و هي دولة باكستان .

و يبيأ لها الجو ، و يحفر لها الأرض حفراً عميقاً ، و يقوم
الحريصون على نصيبها في البلد الاسلامى بعملية الهدم الواسعة وازالة
الانقاض الفكرية و الاجتماعية — كما يسهونها — من حولها ،
و تستغرق هذه العمائة الهدامة جهوداً و طاقات و أوقاتاً كانت
تعود على الأمة و على البلاد بنفع كبير ، لو وجهت إلى عملية
إيجابية بناءة ، و إلى إثارة القوى الكامنة في نفوس رجال هذا
الشعب الاسلامى عن طريق الايمان والدعوة الدينية ، و الاصلاح
الخالق .

رجعية التقدميين : وقد يابجأ هولاء المتجددون في سبيل التجديد
إلى بعض الفلاسفات و النظم و الروابط ، التى فقدت قيمتها و
مكانتها في المجتمع الأوربى من زمان ، و أصبحت تعتبر من
الشعارات الرجعية و من التجارب القديمة التى لجأ إليها القادة في
أوربا في ظروف خاصة ، و في وقت محدود ، ثم استغنوا عنها
بما رأوا من أضرارها و جناياتها و تركوها إلى فلسفة أو فكرة
أفضل منها و أوسع ، و خير مثال لذلك « القومية » التى تخلت
عنها أوربا تقريباً و بعض عليها بعض القيادات في الشرق الاسلامى
بالنواجذ ، و ترى فيها الأسلوب الأخير من التفكير ، و آخر
ما وصل إليه العقل البشرى من وسائل التنظيم و التخطيط مع أنها
من بقايا عصر البداوة و الحياة القبايلة المحدودة في صورة موسعة ،
و طمر بال خلعها الأوربيون ، و من العوامل الهدامة التى فرقت

المجتمع البشرى و وزعت الجيل الانسانى على نفسه .
تقليد دعاة التجديد : إن هذه المحاولة المخلصة الملحفة لتطبيق تجارب
الحياة الأوربية فى بلد إسلامى يبرهن على أن قادة هذه البلاد
— و إن دوت أسماؤهم فى العالم و قادوا الجماهير الكشيرة —
لا يزالون — رغم ثقافتهم العصرية الواسعة — فى دور الطفولة
العقلية التى يكثُر فيها التقليد و المحاكاة و التابذة المتواضعة
لأساتذتهم الغربيين ، و أن شخصياتهم مجردة عن كل ابتكار و عن
القدرة على الانتاج الأصيل و الإبداع ، و عن التفكير الحر ،
و إنهم فضلا عن جهلهم أو تجاهلهم لطبيعة الشعوب التى يحكمونها،
و إواهبها و طاقتها لا يسايرون الفكر الأوربى فى تقدمه و
أطواره ، و لا يعرفون ما يجيش به المجتمع الأوربى من قلق
و تدمر ، و بحث عن الايمان و الروحانية .

صراع بين الحكومات

و الشعوب : إنهم فى بلاء و شقاء من هذه الشعوب التى
لا يسهل عليها التخلّى من المبادئ الدينية ، و من ثروتها الايمانية
و من تراثها الغنى ، و الانقطاع عن منابع الحياة و القوة التى
تكن فى مصادرها الدينية ، و أديها الإسلامى ، و تاريخ الإصلاح
و التجديد ، فهم فى عملية هدم واسعة الأكناف ، طويلة المدى ،
مخاربة من جهات كثيرة ، و الشعوب الإسلامية — التى وقعت
تحت حكمهم و قيادتهم — فى بلاء و شقاء من هولاء القادة ،

فهم يحاربون طبيعتها و يقودونها بهتافات و شعارات لا تسينها هذه الشعوب و لا تنشط لها ، و لا تستطيع أن تحبب إليها الموت و الفداء ، و تبون عليها بذل النفوس و الأموال و الهجرة من الأوطان ، و تغلب على الشهوات و الأنانية الفردية ، و قد عرف هؤلاء القادة صنف هذه المنافع و الشعارات في إثارة الحمية ، و إشعال الحماسة في نفوس الجماهير فهم يلجأون دائماً أيام الجسد و المارك الدموية الحاضرة إلى المنافع الدينية و الشعارات القديمة من الجهاد في سبيل الإسلام و الشهادة في سبيل الله حتى إذا وضعت الحرب أوزارها ، و تسلموا مفاتيح البلاد ، عادوا إلى هتافتهم ، و شعاراتهم القومية و الزمنية ، و يفترضون أنهم يحكون شعوباً ليست لها ديانة تحبها و تقدسها و تستميت في سبيلها ، و ليست لها عاطفة دينية تحتاج إلى التربية و الاستثمار .

إهمال طاقات و كنوز مخبوءة : وهكذا تضيع طاقات هذه الشعوب

و مواهبها ، و إمكانياتها التي لو استثمرت و قدرت حق التقدير ، و كانت القيادة « واقعيين » أكثر منهم « خياليين » لفعلت الأعاجيب ، و كانت قوة يحسب لها الحساب الكبير في ميزان القوى و في ميزان « المعسكرات » و لا سبب في ذلك إلا ضيق تفكير هؤلاء القادة ، و تقليد هذه الحضارة ، و التصميم على تطييعها في بلدهم بخدافيرها ، و هذا بتأثير الثقافة الأجنبية التي تلقوها في الخارج ، أو خضعوا لها و هضموها في داخل بلادهم .

خضوع قادة البلاد الاسلامية

للحضارة الغربية و قيمها : و يعجبني في ذلك ما قرأته حديثاً
لكاتبة أمريكية فاضلة اهدت إلى الاسلام قريباً ، و هي تصف
هذه الطبقة الحاكمة ، و قادة البلاد الاسلامية و خضوعها للثقافة
الغربية و تقديسها الزائد للحضارة الأوروبية ، تقول الفاضلة مريم جميلة
(Margaret Marcus) سابقاً ، في كتابها الجديد (Islam -
Versus the West).

إن الحضارة الغربية بقوتها الاقتصادية و السياسية الفائقة ،
استطاعت أن تبسط نفوذها على العالم كله ، و لما استطاعت
الشعوب الآسيوية و الأفريقية أخيراً أن تنتصر في صراعها للحرية
السياسية ، و تحررت من النير الأجنبي ، كانت حضارتها المحلية
قد تحطمت قديماً ، إن قادة هذه الشعوب من غير استثناء تلقوا
ثقافتهم في معاهد أوروبا و أمريكا ، و كانت هذه المعاهد و
أسانذتها قد علموهم أن ينظروا إلى تراثهم الثقافي القومي بنظر
الاحتقار و الإزدراء ، و كانوا قد خضعوا عقلياً لفلسفات
الحضارة المادية .

و هكذا فإن قادة آسيا و أفريقيا متفقون مع القادة
الأوروبيين و الأميركيين على أن الهدف الأسمى ، و المثل الأعلى
للجتمتع البشري هو تقدمه عن طريق الصناعات الثقيلة ، و رفع
مستوى الحياة المادية ، و توسيع القوة الاقتصادية و السياسية ،

و هنا لا ينبغي لنا أن نخطئ بين أساليب الاسلام لتقرير العدالة الاجتماعية بالأساليب الغربية للوصول إلى هذا الغرض ، الاسلام ينظر إلى الرخاء المادى كوسيلة ، و بالعكس فان الغرب ينظر إليه كغاية .

لا عجب إذا كان الزعماء الآسيويون و الأفريقيون مسجبن كل الإعجاب بأساليب حكم الاستبداد الجماعى السائدة فى أوروبا وأمريكا، إنهم فى إعجابهم الشديد بما وصلت إليه الصين الشيوعية من التقدم و بما حازته من شرف و مكانة يحرصون أشد الحرص على تطبيق النظم الاقتصادية و السياسية الغربية فى بلادهم ، أما مادفت الصين من ثمن باهظ لتوسعها السياسى و الاقتصادى ، و كان ذلك الثمن شقاء ملايين من أفراد الشعب الصينى ، و تحطم حياتهم ، فلا يهمهم فى قليل و لا كثير ، لأن مبدأهم « إن الغاية تبرر الوسيلة »

قد يبدو لبعض الناس أن النبوغ و اختلاف الألوان الذى كان يوجد فى ثقافات العالم إذا ضعف فانه سينتهى بالشعوب إلى وحدة أقوى و انسجام أكثر فى الناس ، و لكننا شاهدنا بالعكس أن مبدأ هذه الحضارة الأساسى - الذى ظل يسيطر على جميع اتجاهاتها و تصرفاتها - هو الثورة على جميع القيم الروحية و الدينية ، و لما كان هذا الاتجاه ، و هذا المبدأ هما المسيطران على العالم المعاصر ، لذلك نواجه اليوم من الكراهة الشديدة ، و الحروب الدامية ، و الثورات السفاكة للدماء ما لم نواجهه قبل هذا

اليوم في التاريخ ، و قد فقد الشعوب بالمسؤولية في العلاقات الدولية ، فالممثليون للأمم في جلسات الأمم المتحدة لا يتورعون أبداً عن الكذب ، و هم يحرفون الحقائق لمصالحهم القومية الخاصة من غير أن يجدوا و خراً أو تأنيباً من الضمير ، لأن المبدأ الذي يؤمنون به هو أن كل عمل يخدم مصالحهم القومية — و لو كان ذلك على حساب البلاد الأخرى — لا يعتبر خطأ أو جريمة ، إن هولاء الممثلين في الأمم المتحدة لا يصوتون على أساس أن القضية حق و صواب ، إنما يصوتون لأن ذلك في مصلحة شعبيهم أو بلادهم فحسب. إن جناية قادة الأقطار الاسلامية ليست أقل من أى واحد في بلد آخر إنهم اتخذوا أيضاً ، بفلسفات المادية الغربية ، إن بعضهم يتحدث بالكلمات المعسولة الرنانة عن الحاجة إلى تطبيق الاسلام مع روح العصر الحاضر ، و للوصول إلى هذا الغرض هم يدعون إلى الفصل بين تعليمات القرآن الاجتماعية و بين تعليماته الروحية ، ويقولون إن المادة الأولى يعنى تعليمات القرآن الاجتماعية كانت ظل ما كانت عليه الجزيرة العربية في القرن السابع المسيحى من أحوال اجتماعية و صورتها ، فيجب أن ترفض على أساس أنها لا تلائم قضايا اليوم التى تشغل الفكر ، و يقرر أن تعليمات القرآن الروحية هى الحقيقة الخالدة ، إنهم يعارضون حقيقة راهنة و هى أن الاسلام منهج الحياة الكامل المنسجم و أنه كل لا يتجزأ و أنه يفوق جميع المناهج التى ابتكرها الغرب إلى هذا اليوم ، إن

رفض أى جزء من هذا المجموع يحطم المجموع (١) »
الموقف الثالث : إذن فما هو الموقف الثالث ، وما هو الموقف
العادل الذى يجب أن يقفه العالم الإسلامى تجاه هذه الحضارة الغربية ؟
إنه لا يمكن تحديد موقف العالم الإسلامى تجاه الحضارة الغربية
حتى نعرف طبيعة الأمة الإسلامية ، ومركزها فى هذا العالم ،
ثم نعرف موقفها من هذه الحياة التى تصوغ الحضارات ، وتشكل
المجتمعات و المدنيات .

مركز الأمة الإسلامية

و رسالتها : إن الأمة الإسلامية هى صاحبة الرسالة الدينية
الأخيرة ، وهذه الرسالة هى التى تسيطر — ويجب أن تسيطر —
على جميع مواقفها ، وتصرفاتها ، مركزها مركز القيادة و التوجيه ،
و الحسبة على العالم ، و القرآن يعلن بقوة و صراحة « كنتم خير
أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر ، و
تؤمنون بالله ، و يقول « و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » « ليكون
الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس » فلا يجوز أن
يسكون مكان هذه الأمة فى مؤخر الركب ، و فى صف التلاميذ
و الحاشية ، و أن تعيش على هامش الأمم و ترضى — من القيادة
و التوجيه ، و الأمر و النهى ، و الخلق و الإبداع — بالتقليد

و التطبيق ، و الخضوع و الاطاعة ، فلا يكون موقفها الصحيح
إلا موقف الحر الكريم ، القوى الإرادة ، المستقل التفكير ،
الذي يأخذ - إذا اضطر و احتاج - من حوله بإرادة واختيار
ما يطابقه و يلائمه ، و ما لا يبرزوه في شخصيته و تفوقه و
امتيازه ، و ثقته بنفسه و مركزه ، و ينبذ ما لا يلائمه و يضعف
شخصيته و مركزه و يفقده امتيازه و يدمجه في غيره . و لذلك
نهيت هذه الأمة عن التشبه بقوم في شعائرهم وشاراتهم (١)

و هي أمة ذات هدف معين في الحياة ، و رسالة كاملة في
العالم ، و حضارتها و ثقافتها ، و كفاحتها و إنتاجها ، و كل ما
يتصل بها من حركة و نشاط خاضع لعقيدتها و غاياتها و رسالتها
فلا قيمة عندها لفلسفة تقول « العلم للعلم » و « القوة للقوة »
و « الاكتشاف للاكتشاف » ، و كذلك ليس من مهمتها بسط
السيطرة على الانسان أو على الأكوان ، و تسخير الطاقات
البشرية ، أو القوى الطبيعية و الفلكية لإثبات قوتها أو تقرير

١ - قال العلامة الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي (م ٧٤٣ هـ) في كتابه الكاشف
عن حقائق السنن المحمدية (شرح مشكاة المصابيح) في شرح حديث « من تشبه بقوم فهو
منهم » الذي أخرجه أحمد و أبو داود . هذا عام في الخلق و الخلق و الشعار ، و لما
كان الشعار أظهر في التشبه ذكر في هذا الباب ، قال العلامة نور الدين علي بن سلطان
محمد الهروي المعروف بملا علي القاري (م ١٠١٤) في المرقاة و قلت بل الشعار هو المراد
بالتشبه لا غير ، فان الخلق الصوري لا يتصور فيه التشبه ، و الخلق المعنوي لا يقال فيه
التشبه بل هو التخلق (ص ٤٣١ ج ٤)

فتوحها المادية و العلية ، فان ذلك عندها ضرب من العبث ، ونوع
من الأنانية المتضخمة ، و القرآن يتلو عليها و يضبط اتجاهاتها
و طموحها بقوله « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علواً في الأرض و لافساداً ، و العاقبة للمتقين (١) »
المؤمن القوى العليم

الصالح المصلح : إنما يسمح لها الاسلام بالكفاح في سبيل
الحياة و الطبيعة و العلم — و قد يحث عليه — لصالح البشرية
و للغايات الكريمة إلى حد الضرورة ، و قد ضرب الله لها
مثلاً في القرآن « بالانسان القوى العليم الصالح المصلح الذي
يسخر القوى الكونية و المادية ، و يملك أعظم مقدار من
الأسباب و الوسائل و يوسع فتوحه و مغامراته و هو في كل
ذلك ، و في أوج قوته و سلطته و سيادته ، و تسخيره للقوى و
الأسباب مؤمن بربه ، خاضع له ، مؤمن بالآخرة ، ساع لها مقر
بضعفه ، رحيم بالانسانية و بالأمم الضعيفة ، حام للحق ، يستخدم
كل قوته و جهوده و مواهبه ، و جميع وسائله و ذخائره لخدمة
الانسانية ، و تكوين المجتمع الصالح ، و إعلاء كلمة الله ، و
إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، و من عبادة الناس و المادة
إلى عبادة الله ، سيرة مثاها سليمان بن داود في عصره ، و مثاها
ذوالقرنين في عصره ، و مثاها الخلفاء الراشدون و الأئمة المهديون

في عصورهم (١) «

الحياة كمرحلة عابرة

ووسيلة للآخرة : أما موقفها من هذه الحياة ، فهو موقف من

لا يراها الغاية الأسمى و المثل الأعلى ، و سدرة المنتهى في السعادة

و التقدم ، إنما ينظر إليها كمرحلة « عابرة » لا بد من اجتيازها ،

و كوسيلة للوصول إلى الفوز الأكبر ، والحياة الدائمة ، و العيشة

الراضية ، إن القرآن يقرر - بكل وضوح و قوة - قصر هذه

الحياة الدنيا ، و تفاهتها و تضائلها في جنب الآخرة ، فيقول مثلاً :

« فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٢) » و يقول « ما

هذه الحياة الدنيا إلا لهو و لعب و إن الدار الآخرة لهي الحيوان

لو كانوا يعلمون (٣) » و يقول « إعلموا إنما الحياة الدنيا لعب

و لهو و زينة و تفاخر بينكم ، و تكاثر في الأموال و الأولاد ،

كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون

حطاماً ، و في الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان ،

و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (٤) »

و يقرر كذلك - في وضوح و قوة - أنها قنطرة إلى

الآخرة ، و فرصة للعمل ، فيقول : « إنا جعلنا ما على الأرض زينة

١ - تفسير سورة الكهف للمؤلف « المسلمون » ، المجلد السادس عدد ٤

٢ - العنكبوت ٦٤ .

٣ - براءة ٣٨ .

٤ - الحديد ٢٠ .

لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً (١) » و يقول « الذي خلق الموت
و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، و هو العزيز الغفور (٢) »
و يقرر أن الآخرة خير و أبقى فيقول « و ما الحياة الدنيا إلا
لعب و لهو و للدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (٣) »
و يقول « و ما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا و زينتها و ما
عند الله خير و أبقى أفلا تعقلون (٤) » و يذم و يشنع على من
يؤثر الدنيا — هذه الفانية العارضة السقيمة الناقصة — على الآخرة
— الباقية الخالدة ، الواسعة الصافية من الأكدار ، الخالية من
الأخطار — فيقول « إن الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحياة
الدنيا و اطمأنوا بها ، و الذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك
مأواهم النار بما كانوا يكسبون (٥) » و يقول « من كان يريد
الحياة الدنيا و زينتها نوف إليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون ،
أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ، و حبط ما صنعوا
فيها و باطل ما كانوا يعملون (٦) » و يقول « و ويل للكافرين
الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، و يهدون عن سبيل الله
و يبغونها عوجاً ، أولئك في ضلال بعيد (٧) » و يقول
« يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، و هم عن الآخرة هم غافلون (٨) »

٢ - الملك ٢

٤ - القصص ٦١

٦ - هود ١٦

٨ - الروم ٧

١ - الكهف ٧

٣ - الأنعام ٣٢

٥ - يونس ٧ - ٨

٧ - إبراهيم ٣

و يقول : « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى (١) » و يقول « إن هولاء يحبون العاجلة ، و يذرون وراءهم يوما ثقيلا (٢) » و يقول « فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى (٣) »

و يمدح من يجمع بين الدنيا والآخرة مع إشار جانب الآخرة على جانب الدنيا ، و معرفة قيمتها و فضلها و الحرص عليها ، فيقول « فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة و ماله في الآخرة من خلاق ، و منهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار (٤) » و يقول على لسان نبي الله موسى « و اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة و في الآخرة إنا هدنا إليك (٥) » و يمدح خليله إبراهيم عليه الصلاة و السلام فيقول « و آتيناه في الدنيا حسنة و إنه في الآخرة لمن الصالحين (٦) »

و خير ما يمثل موقف المؤمن من هذه الحياة ، و يحدده بدقة و مقدره ليست فوقها دقة و مقدره هو الجملة الحكيمة الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه في أيام الجمعة ، « إن الدنيا خلقت لكم و إنكم خلقتم للآخرة » فالمسلم يجمع

٢ - الانسان ٢٧

١ - النجم ٢٩ - ٣٠

٤ - البقرة ٢٠٠ - ٢٠١

٣ - النازعات ٣٧ - ٣٨ - ٢٩

٦ - النحل ١٢٢

٥ - الأعراف ١٥٦

بين الانتفاع بمرافق الحياة و أسباب الدنيا و استخدامها كشي خلق
لأجله و سخر له ، و بين السعي للآخرة و الكفاح لها كغاية خلق
لأجلها ، فهو ينظر إلى الدنيا و قواتها و وسائلها كطية و مركب
لا كراكب و متصرف ، و كملوك و رقيق لا كمالك و سيد ، و
وسيلة لا كغاية ، و ينظر إلى الآخرة كغاية ينتهي إليها و وطن
يلجأ إليه فيجمع عليه همه و يرهق له قواه و يحث إليها مطيته ،
و ذلك مثل النبوة الذي مثله الرسول صلى الله عليه وسلم إذ
قال « ما لي و للدنيا و ما أنا و الدنيا إنما أنا كراكب استظل
تحت شجرة ثم راح و تركها (١) » .

و قد تجلت هذه النفسية القرآنية أو النظرة القرآنية إلى
الحياة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم و تعاليمه و سلوكه ، و
كلامه و عواطفه و أمانيه و دعائه و سره و علنه ، و تجلت
كذلك في حياة الصحابة الذين تربوا و تكونت سيرتهم و عقليتهم
في حضائه و تحت إشرافه و من كان على نهجهم و على غرارهم
من التابعين و المؤمنين من هذه الأمة ، بحيث قد صار ذلك طابعاً
لحياتهم ، و مزاجاً لا ينفك عنهم ، و أصبح من الحقائق التاريخية
التي لا يمارى فيها .

و هنا تتعارض الأديان السماوية ، و تعاليم النبوة أو
مدرسة النبوة — إن صح التعبير — مع الفلسفات المادية ، و

١ - رواه أحمد و الترمذى

التفكير المادى الذى يلاح على أن هذه الحياة الدنيا هى كل شئ ،
و هى المنتهى ، و يبالىغ فى تمجيدها و تقديسها و الاحتفاء بها ،
والحرص على ترفيها و تحسينها و تزيينها .

حضارة تائرة على القيم

الدينية و الروحية : و قد كان من المصادفات الأليمة المحزنة ،

والمأسى الفاجعة للبشرية أن الحضارة الغربية قد ولدت و ترعرعت
فى عصر قد ثار على الدين و أسسه من الايمان بالغيب و غير
ذلك ، و فى أمة قد ثارت على الذين تزعموا الدين و استغلوه
لشهواتهم و أنانياتهم ، و اشتد غضبها عليهم لسوء سيرتهم و
همجيتهم و وقوفهم فى سبيل التقدم و حرية العقل و العلم ، فترافق
نشوء الحضارة و الصناعة و الاتجاه المادى العنيف ، الاتجاه إلى
تنظيم الحياة على أسس مادية خالصة ، و قطع صلة المجتمع و البشرية
عن فاطرها و مصرف هذا الكون ، و كل ذلك اقتضته سلسلة
الأسباب و طبائع الأشياء ، و وضع أوربا الخاص ، فشبت هذه
الحضارة و اختمرت و هى المسيطرة على القوى و الأسباب ،
قد بلغت الغاية فى التقدم و الصناعة و علوم الطبيعة حتى استطاعت
أخيراً أن تعدم المساحات و الأبعاد ، و تجاوز الكرة الهوائية ،
إلى غير ذلك من الفتوح فى دائرة العلوم الطبيعية و الفلكية (١) «

١ - منقول من تفسير سورة الكهف للمؤلف المنشور فى « المسلمون » المجلد السادس

سيطرة « المادية » على قادة

التجديد في الشرق الاسلامى : و قد انتقلت هذه النفسية المادية إلى قادة حركات التجديد و بالأصح التغريب في الشرق الاسلامى و تواصلوا - من عهد كمال إلى عهد جمال - على الافتتان بالتقدم المادى و اتخذوا القوة و الرفاهية إلهاً يقدر و يعبد و يكفر بغيره ، و يضحى على أنصابه بكل القيم الخلقية و الروحية ، و ما ليست له قيمة مادية ، و حسب القارئ أن يقرأ خطب هؤلاء الزعماء القوميين و القادة السياسيين ، و ما يكتبونه بين آونة و أخرى ، و ما يدلون به من تصريحات ، و ما يتخذونه من إجراءات رسمية و خطوات عملية و ما يعاملون به الأحزاب التى تفكر غير هذا التفكير ، و تسير غير هذه السيرة ، و تنتقد هذه الاتجاهات ، و حسبه أن يقرأ مشاريع الحكومة و الخطط المستهدفة و مجالات النشاط و الحركة و الحماسة فى الدوائر الرسمية ، يراها مقتصرة على ترفيه البلاد و تقويتها مادياً ، و رفع مستوى الحياة ، و مجارة الشعوب التى لا تعرف غير المادة و المحسوسات حقيقة ، و لا تعرف غير القوة إلهاً و لا تعرف غير التقدم المادى و الرفاهية الدنيوية هدفاً و غرضاً ، و لا تعرف غير مجموعة الأفراد الذين تربط بينهم - رابطة قومية أو معاهدة سياسية - مجموعة بشرية ، تستحق الاحترام و الاهتمام ، إن هذه هى النفسية التى جرت على العالم الشقاء و البلاء فى كل زمان ،

و هي العقلية الضيقة السقيمة التي حاربتها الأديان ، و جاء يمحوها
الاسلام ، و أن احتضان قادة بلد اسلامى لهذه الفكرة والعقيدة
المادية الضيقة نكسة عظيمة في التفكير لاتدل إلا على ضعف الايمان
و سوء التربية ، و سقوط الهمة ، و قصر النظر ، و شقاء هذه
البلاد أولاً ، و شقاء العالم الانساني ثانياً .

إن الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ومركز هذه الأمة في
العالم ، و معرفة رسالتها و الايمان بقيمتها ، و التأكيد على قيمة
الآخرة و ما بعد هذه الحياة — من سعادة و شقاء و جنة و نار —
و التأكيد على الجانب الخلقى و الروحى من الحياة ، هو الخط الفاصل
الذى يشكل الحد الفاصل الرسمى (Line of Demarcation) بين
الحضارتين ، حضارة يوافق عليها الاسلام ، و يتحمل مسئوليتها ،
و يباركها ، و تتجلى فيها الشخصية و الأصالة و الاتباع ، و حضارة
يتبرأ منها الاسلام ، و يخسر فيها المسلمون ، و تتجلى فيها العبودية
و الرضوخ و الاستسلام ، و العبادة التى لا تعرف إلا تقليد
البيغاوات ، و محاكاة القروء .

محنة ذكاء و قوة إرادة : إن التصميم الحضارى محنة ذكاء ، و
عصامية و عبقرية ، و قوة إرادة ، و فقه دين ، ليست مجرد عملية
نقل و تطبيق ، و تعديل و تحسين ، إن الاسلام قد حدد حدود
الحلال و الحرام ، و حرم تخطى هذه الحدود ، و أفسح المجال بينها
للتمتع الكريم النزيه ، فى غير إسراف و إحتجاف ، و مس بحقوق

الآخرين وحظوظهم ، ومن غير تعرض لخطر الوقوع في الإيثم و
الفحشاء و التبذير ، والحياة التي لا تليق بالذكر الرجال ، والسكرام
الأقوياء ، و هذه هي الروح التي تسيطر على أحكام اللباس و
الطعام و العشرة و الاجتماع و المتعة و اللذة ، و حث على مراعاة
المصالح ، و التجنب من المضار و المفسد ، و إعداد الممكن المستطاع
من وسائل القوة و الدفاع ، و اقتباس الصالح النافع من العلوم و
الحكمة ، بشرط أن لا يكون ذلك على حساب مقومات الشخصية
و الكرامة القومية - الإسلامية - و بشرط أن لا ينشئ ذلك في
الأمة شعوراً بالنقص ، و قصوراً في الثقة ، و روح اندفاع سريع
متهور إلى تقليد الآخرين ، و التشبع بروحهم ، و إجلال حياتهم
و تقديسها .

نعومة حرير وصلابة حديد : إنها أساس حضارة تملك نعومة
الحرير وصلابة الحديد ، نعومة الحرير في مسايرة المقتضيات و
الحاجات و الحقائق ، غير مفترضة و لا مختلفة ، و غير متخيلة و
لامبالغاً فيها ، و صلابة الحديد ، و ثبات الجبال على حدود العقيدة
و الأخلاق ، إنها مفتوحة العقل و الضمير ، منسرححة الصدر ،
متهيأة لاقتباس العلوم النافعة التي نشأت ، و تكونت في جانب بعيد
في هذا العالم ، و اقتباس النظم و الأساليب التي لا تمس جوهر الدين
و لا تغير وضع الأخلاق .

الإفادة من الغرب و مجالها : وأحلى هذا الفصل الذي يحدد موقف

العالم الاسلامى من حضارة الغرب و ثقافته بقطعة جميلة من كتاب
« الطريق إلى مكة » للاستاذ محمد أسد ، فقد بدا فيها الايزان و
الحصافة الفكرية ، و هى تحدد — بلباقة فائقة و مقدرة كبيرة —
الخط العادل المتزن الذى يجب أن يسير عليه العالم الاسلامى فى
الإفادة من الغرب ، و تبنى الوسائل الحديثة ، يقول محمد أسد :
« إن عالمى الاسلام والغرب لم يكونا يوماً أقرب أحدهما من
الأخر ، كما هما اليوم ، و هذا القرب هو صراع ظاهر و خفى ،
ذلك أن أرواح الكثيرين من المسلمين و المسلمات لتتغضن رويداً
رويداً تحت تأثير العوامل الثقافية الغربية ، إنهم يتركون أنفسهم ،
يتعدون عن اعتقادهم السابق بأن تحسين مقاييس المعيشة يجب أن
لا يكون سوى واسطة لتحسين أحاسيس الانسان الروحية ، إنهم
يسقطون فى وثنية « التقدم » نفسها التى تردى فيها العالم الغربى
بعد أن صغروا الدين إلى مجرد صلصلة رخيمة فى مكان ما من
مؤخرة الأحداث ، ولذلك تراهم يصغرون مقاما و لا يكبرون ، ذلك
أن كل تقليد ثقافى ، بخلاف الخلق و الايداع لا بد أن يحقر الأمة
و يقال من شأنها .

أنا لا أعنى أن المسلمين لا يستطيعون أن يفيدوا كثيراً من
الغرب ، و بخاصة فى مجال العلوم و الفنون الصناعية ، ذلك أن
اكتساب الأفكار والأساليب العلمية ليس فى الحق « تقليداً » وبالتأكيد
ليس فى حالة قوم يأمرهم دينهم بطلب العلم فى حيثما يمكن أن يوجد ،

إن العلم لا غربي و لا شرقي ، ذلك أن الاكتشافات العلمية ليست
إلا حلقات في سلسلة لانهاية لها من الجهد العقلي الذي يضم الجنس
البشري بكامله ، إن كل عالم يبني على الأسس التي يقدمها له أسلافه ،
سواء كانوا من بنى أمته أو من أبناء أمة غيرها ، و عملية البناء و
الاصلاح و التحسين هذه تستمر و تستمر ، من إنسان إلى إنسان
و من عصر إلى عصر ، و من مدنية إلى مدنية ، بحيث أن ما يحققه
عصر معين أو مدنية معينة من أعمال علمية جلية لا يمكن مطلقاً
أن يقال إنها « تخص » و « تعود إلى » ذلك العصر أو إلى تلك
المدنية ، فقد يحدث في مختلف الأزمنة و العهود أن تسهم أمة ما ،
أمضى عزيمة و أشد همة من غيرها ، بنصيب أكبر في صندوق
المعرفة ، و لكن الجميع مع الزمن يشتركون ، و بصورة شرعية
صحيحة في هذه العملية ، لقد جاء حين كانت مدنية المسلمين أقوى و
أمضى من مدنية أوروبا فنقلت إلى أوروبا كثيراً من الاختراعات
الصناعية و الفنية ذات الطبيعة الثورية ، و أكثر من هذا : مبادئ
« تلك الطريقة العلمية » نفسها التي يرتكز إليها العلم الحديث ، و
المدنية الحديثة ، و مع ذلك فإن اكتشافات جابر بن حيان الكيمائية
لم تجعل من الكيمياء علماً « عربياً » كذلك لا يمكن أن يقال إن
الجبر و علم المثلثات هما علمان « إسلاميان » مع أن الأول منهما
بسطة الخوارزمي ، و الثاني البتاني ، و كلاهما كانا مسلمين ، تماماً
كما لا يستطيع أحد أن يتكلم عن نظرية الجاذبية « الانكازية » مع

أن صاحبها كان انكليزيا ، كل هذه الأعمال العلمية العظيمة هي ملك مشترك بين الجنس البشرى كله ، و إذن فان المسلمين إذا تبنا كما هو من واجبهم أن يفعلوا ، الطريق والوسائل الحديثة في العلوم و الفنون الصناعية ، فانهم بذلك لا يفعلون أكثر من اتباع غريزة التطور و الارتقاء التي تجعل الناس يفيدون من خبرات غيرهم ، و لكنهم إذا تبناوا — و هم في غير حاجة إلى أن يفعلوا ذلك — أشكال الحياة الغربية و الآداب و العادات و المفاهيم الاجتماعية الغربية فانهم لن يفيدوا من ذلك شيئاً ، ذلك أن ما يستطيع الغرب أن يقدمه لهم في هذا المضمار لن يكون أفضل وأسمى مما قدمته لهم ثقافتهم نفسها ، و مما يدهم عليه دينهم نفسه .

ولو أن المسلمين احتفظوا برباطة جأشهم و ارتضوا الرقي وسيلة لا غاية في ذاتها إذن لما استطاعوا أن يحتفظوا بحريتهم الباطنية فحسب ، بل ربما استطاعوا أيضاً أن يعطوا إنسان الغرب سر طلاوة الحياة الضائع (١) الفراغ الأكبر

و العبقري المطلوب : إن الفراغ الهائل الأكبر في العالم الاسلامي هو وجود ذلك العبقري العصامي الذي يواجه الحضارة الغربية بشجاعة و إيمان و ذكاء ، و يشق له طريقاً خاصاً بين مناهجها و مذاهبها ، و بين فضائلها و رذائلها ، طريقاً يترفع فيها عن التقليد و المحاكاة و عن التطرف و المغالاة ، غير خاضع فيها للاشكال

١ - الطريق إلى مكة للاستاذ محمد أسد (ليوبولد سابقاً) ص ٢٧٤ - ٢٧٦

و المظاهر ، و المفاهيم السطحية ، متمسكا بالحقائق و أسباب القوة ،
و باللباب دون التشور .

العبرى العصامى الذى يشق له و لبلاده و أمته طريقاً مبتكراً
يجمع فيها بين الايمان الذى اختص به الانبياء و الرسل و الدين الذى
أكرمه الله و أمته به عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم ، و بين
العلم الذى ليس ملك أمة و لابلد و لاعصر ، يأخذ من الدين
الدوافع الخيرة التى هى أعظم قوة و أغنى ثروة فى خدمة الانسانية
و بناء صرح المدنية ، و الغايات الرشيدة الصالحة التى لا يوحىها إلا
الدين السماوى و التربية الدينية السليمة ، و يأخذ من الحضارة
الغربية الآلات و الوسائل القوية الكثيرة التى أنتجتها و توصلت
إليها فى سيرها العلى الطويل و فى جهادها المتواصل الشاق ، و
لم يتفجع بها الغرب لإفلاسه فى هذا الايمان و فقره فى هذه الدوافع
الخيرة و فى هذه الغايات الصالحة ، بل أصبحت تستخدم فى شقاء
الانسانية و تقويض أركان المدنية أو لغايات تافهة لا قيمة لها .

العبرى العصامى الذى يعامل الحضارة الغربية — بعلومها و
نظرياتها و اكتشافاتها و طاقتها — كمواد خام ، يصوغ منها حضارة
قوية عصرية مؤسسة على الايمان و الأخلاق و التقوى و الرحمة و
العدل فى جانب ، و على القوة و الانتاج و الرفاهة و حب الابتكار
فى جانب آخر ، و لا يعامل الحضارة الغربية كشئى قد تم تكوينه
و تركيبه و ختم عليه فلا يوخذ إلا برمته و لا يقبل إلا على علاته ،

إنما يأخذها كأجزاء ، يختار منها ما يشاء ، و يركب منها جهازاً يخضع لغاياته وعقيدته ومبادئه ونظام خلقه و ما يكلفه به دينه من منهج خاص للحياة ، ونظرة خاصة إلى الدنيا ، وسلوك خاص لبني النوع ، وسعى خاص للآخرة و جهاد دائم « حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله » جهازاً مؤسساً على الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم و أنه المثل الكامل ، والامام الدائم و القائد المطاع و النموذج المتبع و السيد المحبوب ، و الخضوع لشريعته كدستور للحياة ، و أساس للتقنين ، و الدين الوحيد الذى تنال به سعادة الدنيا والآخرة و لا يقبل الله سواه .

العبقري العصامي الذى يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته و بلاده و ماتنفع عملياً و مالميس عليه طابع غرب أو شرق ، إنماهى علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به فى القرون المظلمة و فى عصر الثورة على الدين ، و فى حالة توتر أعصاب و قلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد و العداة للدين و من النتائج الخاطئة ، و يطعمها بالايمان بفاطر الكون و مدبره ، و يستنتج منها نتائج أعظم و أوسع و أعمق و أكثر سعادة للانسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذى لا ينظر إلى الغرب كإمام و زعيم خالد ، و إلى نفسه كقلد و تلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، و كقرين تفوق فى بعض العلوم المادية و المعاشية فيأخذ منه

مافاته من التجارب ويفيض عليه بدوره ما ساعد به من تراث النبوة ،
و يعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ،
فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه
الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج
— بذكائه و جمعه بين حسنات الغرب و الشرق و قوى الروحانية
و المادية — منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقديره و تقليده ، ويضيف
إلى المدارس الفكرية و المناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل
عناية و دراسة و تقليد و اتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف
القادة و الزعماء في العالم الاسلامي على كثرتهم و تنوعهم ، و
هذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقادون المطبقون
صغاراً متواضعين كالأقزام .

و إنها أعظم تجربة و أبعدها أثراً ليس في محيط شعب أو
بلد ، و ليس في محيط العالم الاسلامي فحسب بل في محيط العالم و في
محيط الانسانية كلها ، و إن التاريخ شاخص يبصره إلى من يقوم بها
في الأقطار الاسلامية و العربية ، ممسك قلبه ليطر له سطور
الثناء و الأجلال و يقلده الزعامة الحقيقية ، و مركز التجديد
في العالم الاسلامي ، و العبقرية و العصامية في التاريخ الانساني .

~~~~~

## الفهرست

الصفحة

الموضوع

|    |                                                       |
|----|-------------------------------------------------------|
| ٥  | كلمة المؤلف                                           |
| ٩  | العالم الاسلامى امام مشكلة الحضارة الغربية            |
| ١٠ | المزيج الغريب                                         |
| ١١ | الموقف الاول السلبى                                   |
| ١١ | حكم هذا الموقف طبيعياً و شرعياً و نتائجه              |
| ١٣ | مصير الاقطار التى تعيش فى عزلة عن العالم              |
| ١٦ | التقاليد و العادات لا تستطيع أن تقاوم الحضارة الجديدة |
| ١٧ | لا بد من التخطيط و إصلاح الأوضاع                      |
| ١٨ | سبب حدوث الثورات فى العالم الاسلامى و علاجه           |
| ١٢ | الموقف الثانى موقف الاستسلام و التقليد                |
| ٢٢ | حركة « التغريب » فى تركيا و أسبابها                   |
| ٢٤ | ضياء كوك ألب و فلسفته                                 |
| ٢٦ | دور تركيا التقليدى                                    |
| ٢٩ | شخصية أتاترك و مآثرته التقليدية                       |
| ٣٢ | تأثير أتاترك فى العالم الاسلامى                       |
| ٣٣ | الصراع بين الشرق و الغرب فى الهند                     |

|    |                                                 |
|----|-------------------------------------------------|
| ٣٤ | القيادة الدينية و المدرسة القديمة               |
| ٣٦ | حركة ندوة العلماء                               |
| ٣٨ | قيادة السيد أحمد خان و مدرسته الفكرية           |
| ٤٤ | جوانب الضعف في فكرة السيد أحمد خان              |
| ٤٨ | محصول هذه الحركة و إنتاجها                      |
| ٤٩ | أكبر الأئمة آبادي ، الشاعر الثائر               |
| ٥١ | الحركة الوطنية و مقاطعة البضائع الأجنبية        |
| ٥٤ | محمد إقبال و نقده للحضارة الغربية               |
| ٦٢ | الحضارة الغربية و الأقطار الإسلامية             |
| ٦٢ | نقده لدعاة التجديد في الشرق                     |
| ٦٣ | إيمانه بفضل الحضارة الإسلامية و حيويتها         |
| ٦٤ | المعمل الإسلامي الجديد                          |
| ٦٦ | العمالية في الامتحان                            |
| ٦٦ | أهمية الدور الذي تمثله مصر في العالم الإسلامي   |
| ٦٨ | الحاجة إلى قناة جديدة                           |
| ٧٠ | موقف مصر التقليدي الضعيف                        |
| ٧٠ | السيد جمال الدين الأفغاني و انقطاعه إلى السياسة |
| ٧٣ | فضل حركة السيد جمال الدين و مدرسته              |

- ٧٤ حركة « الإخوان » و الخسارة بفقدانها
- ٧٥ المتخرجون في أوروبا مطلاع الفكر الغربي في العالم العربي
- ٧٨ صدى أفكار المستشرقين في مصر
- ٧٩ اتجاه حركة التأليف و الترجمة إلى الأدب و الاجتماع
- ٨٠ صورة من الحياة الغربية
- ٨٢ دعوة طه حسين مصر إلى اعتبار نفسها جزءاً من الغرب
- ٨٤ مستوى فكري نازل
- ٨٥ الطبعة الجديدة العربية للحركة الكمالية التركية
- ٨٧ محاولة تطوير المجتمع المصري و العربي كلياً
- ٩٠ سوء تأثير الثورة المصرية و قيادتها في العالم العربي
- ٩٢ طابعة ردة فكرية
- ٩٢ الأقطار الاسلامية المتحررة حديثاً في طريق « التغريب »
- ٩٣ عملية هدم و إزالة أنقاض
- ٩٤ رجعية التقدميين
- ٩٥ تقليد دعاة التجديد
- ٩٥ صراع بين الحكومات و الشعوب
- ٩٦ إهمال طاقات و كنوز مخبوءة
- ٩٧ خضوع قادة البلاد الاسلامية للحضارة الغربية و قيمها



|     | الموقف الثالث                                        |
|-----|------------------------------------------------------|
| ١٠٠ | مركز الأمة الاسلامية و رسالتها                       |
| ١٠٠ | المؤمن القوى العليم الصالح المصلح                    |
| ١٠٢ | الحياة كمرحلة عابرة و وسيلة الآخرة                   |
| ١٠٣ | حضارة ثائرة على القيم الدينية و الروحية              |
| ١٠٧ | سيطرة « المادية » على قادة التجديد في الشرق الاسلامى |
| ١٠٩ | محنة ذكاء و قوة إرادة                                |
| ١١٠ | نعومة حرير و صلابة حديد                              |
| ١١٠ | الإفادة من الغرب و مجالها                            |
| ١١٣ | الفراغ الأكبر و العبقرى المطلوب                      |
| ١١٧ | الفهرست                                              |

